المكتبة العامة لندوة العلماء
مكتبة العلامة شبلي النعماني
ندوة العلماء - لكهنؤ، الهند

نمبر	نام کتاب	نام منصف
۷۲۶۹ ۱۱۱۸۹۹	البعث الاسلامی جنوری تا دسمبر 1996 جلد ۴۱	دکتور/ سعید الاعظمی الزوی
فن جرائد		دستخط

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد الحادي والأربعون

رمضان ١٤١٦هـ - يناير ١٩٩٦م

العدد الأول

عامنا

في خدمة:

"البعث الإسلامي"

- مواجهة التحديات الحضارية
- الرد على الفلسفات المادية
- الدعوة إلى حضارة الإسلام النقية
- إعادة الثقة إليها بكل إقناع وإيمان

مع افتتاح المجلد الحادي والأربعين للمجلة بهذا العدد
ودخولها بمشيئة الله تعالى في عامها (٤١) الجديدة

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

٧٢٦٩
١١١٨٩٩
جزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني - رحمه الله تعالى -

في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

العدد الأول - المجلد الحادي والأربعون

رمضان ١٤١٦هـ يناير-فبراير ١٩٩٦م

منهج ندوة العلماء

[تقوم فكرة ندوة العلماء ودعوتها في الدين والعقيدة على الدين الخالص، النقي من الشوائب، البعيد عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وعلى العودة في تلقيه وفهمه وتفسيره، إلى منابعه الصافية الأولى، ومصادره الصحيحة الأصيلة، وفي العمل والسلوك، على التمسك بلباب الدين، والعمل بأحكامه والتحلي بحقيقته وروحه الربانية المشرقة الصافية، وفي تصورها للتاريخ على أن خير العصور هو العصر الذي ظهر فيه الإسلام، والجيل المثالي هو الجيل الذي نشأ في أحضان النبوة، وتخرج في مدرسة القرآن والإيمان الأولى].

أبو الحسن علي الندوي

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

==========

المراسلات

بعنوان مكتب البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص. ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o NADWATUL ULAMA

P.O.Box. 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

حضرات أخواننا القراء !

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

وبعد فأحمد الله سبحانه و تعالى على هذا التوفيق الغالى الذى أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة العقيدة والفكر و فى مجال البعث الاسلامى، بطريق مجلة «البعث الاسلامى» التى تستفتح بهذا العدد عامها **الحادى و الأربعين**، راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم وبروح من الاستقامة و الصمود، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة فى ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تجتازها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم فى كل مكان نحو دينهم و شريعتهم ورسالتهم العالمية.

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها ويسر بها القارئ الكريم، ولا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، و يشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن، ويسمح لنا بزيادة قليلة فى قيمة الاشتراكات.

و التحديات تتجدد كل يوم، وهى تنذر بشر مستطير، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة، و لكم شكرنا و تقديرنا.

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : مأة و خمسون (١٥٠) روبية :

ثمن النسخة (١٥) روبية :

★ فى العالم العربى و فى جميع دول العالم.

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى.

و ٣٦/ دولاراً بالبريد الجوى.

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم « البعث الاسلامى » (ALBAAS-EL-ISLAMI) و ذلك بالعنوان التالى :

مكتب البعث الاسلامى،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWATUL-ULAMA
P. O. Box: 93, Lucknow.
Pin-226 007 (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها.

محتويات العدد

أخي القـــارئ : ٣

الافتتاحية :

دور العقيدة في بناء الحضارة ٤
سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

الإمام مسلم بن الحجاج القشيري ٩
سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
إعجاز القرآن والإطار البياني ٢١
الدكتور رشيد بلحبيب

الدعوة الإسلامية :

أثمر الله حصادك ٣٥
الدكتور محمد بن سعد الشويعر
نحو استراتيجية جديدة للعمل الإسلامي ٤٥
الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
الصيام وذكريات الجهاد في الإسلام ٥٠
الأستاذ صلاح أحمد الطنوبي

دراسات أدبية :

الاعتذار في الشعر العربي الإسلامي ٥٥
د/عطية خليل الأنصاري
الظواهر الاجتماعية والأدبية لدى الجاحظ ٦٧
الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

الفقه الإسلامي :

الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي ٧٢
الدكتور/ محمد الدسوقي

صور و أوضاع :

بين الديناميكية والركود ٨٨
واضح رشيد الندوي

كتب حديثة :

أضواء على الحركات
والدعوات الدينية والإصلاحية ٩٣
لآلي منثورة . في التعبيرات الحكيمة
عن قضايا الدين والأخلاق والاجتماع ٩٥
الإسلام . خصائصه وعقائده ٩٥
قلم التحرير

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ محمد إسحاق الندوي
السنديلوي في ذمة الله تعالى ٩٦
فضيلة الشيخ السيد محمد مرتضى النقوي
في ذمة الله تعالى ٩٧
فضيلة الشيخ إقبال أحمد المظاهري
في ذمة الله تعالى ٩٨
قلم التحرير

أخبار اجتماعية وثقافية :

مؤتمر هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين
في أحمد آباد ٩٩
في المؤتمر السنوي حول « السيرة » حضر ٩٩
البروفيسور محمد يونس النجرامي الندوي
حفلة دينية في دار القرآن والحديث ١٠٠
قلم التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٣٦٩ / ١١١٨٩٩ جائد

أخي القارئ !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من سعادة حظنا أن نقدم إليك هذا العدد الجديد لمجلة « البعث الإسلامي » . وهي تفتتح بذلك عامها الحادي والأربعين . بعد ما استكملت أربعين سنة من عمرها . ولا يسعنا تجاه هذا التوفيق إلا أن نحمد الله سبحانه وتعالى . ونطلب منه مزيدًا من الرعاية والتأييد والثقة .

استهلت مجلة « البعث الإسلامي » . يوم كان الدعاة إلى الخير وبناة مستقبل الأمة يتطلعون إلى بعث إسلامي وسط أعاصير القومية العربية التي كانت تجتاح عواصم الدول الإسلامية العربية الكبرى . و تحل محل المعتقدات الدينية تمامًا . فخاضت المعركة وصمدت في وجه هذا الطوفان بما تيسر لها من وسائل العلم والقلم .

وهي تبدأ مسيرتها اليوم أمام زحف هائل من الصراع الحضاري والفكري . وفي خضم من الأفكار والفلسفات الموبوءة التي لا تدخر وسعًا في تذويب الحضارة الإسلامية المتميزة . وإزالة الثقة بخلود رسالة الإسلام . وشريعته الخالدة الدائمة النامية .

راجين المولى الكريم أن يمدها بروح من عنده . ويدعمها بوقود جديد من الإيمان الراسخ . والعلم الواسع . والرؤية الإيمانية الواضحة بقيادة حكيمة لرجلها الكبير العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وتوجيهاته المشرفة . والله ولي التوفيق ٧

سعيد الأعظمي

الافتتاحية

دور العقيدة في بناء الحضارة الإنسانية !

للعقيدة دورها الأساسي العظيم في تأصيل جذور الحياة السعيدة على جميع المستويات . وهي العامل الأصيل في تكوين المجتمع الهادف الذي يتوخاه الإسلام . ويرتبط فيه الإنسان بالقوة الكبرى الخارقة التي تفوق كل تصور وإدراك وعلم . وتتصل بالملكوت الأعلى الدائم وتتصرف في الكون والخلق والأمر . ومن ثم كان تركيز الرسول - عليه الصلاة والسلام - على هذه النقطة الشريفة ذات الأهمية البالغة . أول هدف لما بعث له في هذه الدنيا وأخرجت له أمة الإسلام . إنه ربط الحياة بالإيمان بقدرة الله تعالى وبرسالة رسوله خاتم النبيين وبالقدر خيره وشره والبعث بعد الموت والآخرة والحساب والجنة والنار . وتلك هي جذور إيمانية لا تتأصل شجرة الحياة الإنسانية ولا تزدهر بغيرها . وكلما تسرّب ضعف أو وهن إلى أي واحد منها أصيبت الشجر بالذبول أو الضعف . وقلت أزهارها وثمارها . وتضاءل غناؤها ولم يعد لها موضع اهتمام كبير . وعناية فائقة . مثل ما كان لها في سابق عهدها في نفوس المعنيين بها .

هذه العقيدة الشاملة هي التي تمنح الحياة اتزانًا وتتولى بقاءها على الجادة القديمة التي توليها السعادة الكاملة بكل ما فيها من معنى . وتقيها من كل زلة أو انحراف عن القصد أو اختلال في الميزان مما يتكفل بشقائها و يزرع بذور الفساد في جميع مناحيها القريبة والبعيدة . وما هو المشاهد في مجتمعاتنا اليوم إنما هو دليل على ضعف العقيدة في النفوس . وقلة الاهتمام بقيمتها الغالية ودورها العظيم في تحلية الفرد بالقدوة المثالية و إيجاد المجتمع الأفضل النموذجي في العالم . وقد جرّب التاريخ البشري هذا الواقع يوم كانت العقيدة تعمر القلوب وتملى كلمتها على الناس . وكانت تتمتع بالكلمة النافذة في المجتمع الإنساني . فقد كان رسول الله -ﷺ- وُفق إلى بناء الحضارة الإنسانية الشامخة التي لم يكن للإنسان الجاهلي

عهد بها ولا لأهل الحضارات الشرقية والغربية علم بمثل تلك الحضارة العالية الشاملة العادلة التي أدهشت زعماء الحضارات وعقلاء الفلسفات الاجتماعية يوم ذاك .

قامت حضارة الإسلام على الخروج من جميع مذاهب الشرك والوثنية والعبادات الباطلة . والعودة إلى الاعتقاد الكامل بوحدانية الله تبارك وتعالى وربوبيته وجلاله وقدرته واحتوائه على جميع ما في الكون والحياة والإنسان . من شئون ومظاهر . وما في العالم من خلق وأمر . وإلى الإيمان القوى بالشريعة وما جاء بها رسول الله -ﷺ- بطريق الوحي من توجيهات ربانية دقيقة وجليلة مما يتعلق بالعقيدة والشريعة . وبالإيمان والعمل . وبالقلب والجوارح . وبالعلاقة الخالصة المشرفة مع الله ومع الناس . وما يتصل بالحياة الفردية والجماعية . وبالسر والعلن . وبكل ما له صلة بالطاعة الكاملة لله ولرسوله . ففي حديث جبريل - عليه السلام - الذي رواه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إشارة كافية إلى أصول الحضارة الإيمانية التي أوحي بها الله تعالى وبواسطة جبريل إلى رسول الله -ﷺ- لكي يربى عليها أتباعه . ويبنى عليها حياتهم المتميزة . عن الطريقة التي سار عليها أتباع الحضارات المادية والمذاهب الجاهلية . يقول : بينما نحن عند رسول الله -ﷺ- ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب . شديد سواد الشعر . لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا أحد . حتى جلس إلى النبي -ﷺ- . وأسند ركبتيه إلى ركبتيه . ووضع كفيه على فخذيه . وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام . قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . إن استطعت إليه سبيلاً . قال : صدقت . فعجبنا له . يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك . إلى آخر ما جاء في الحديث .

إذا تأملنا في الحديث تبين لنا فيه أصول أساسية للحضارة الإنسانية التي توفر للحياة كل القواعد للعيش في هذه الدنيا تحت ظلال الإسلام أفرادًا وجماعات . مترفلين في حال من السعادة

والهدوء والعز والهناء . ومهتمين بجميع ما يجرى في العالم من أوضاع وظروف . وفي ضوء هذه العقيدة الإيمانية التي تتجلى . وفي هذا البيان النبوي الواضح . الجامع لأسس المنهج الإسلامي للحياة والمجتمع . نشق الطريق نحو عبادة الله تعالى والاتصال به في جميع شئون الحياة والكون . ونتخذه قاعدة أصيلة وعميقة لبناء الحضارة الإنسانية الشاملة التي يعيش فيها المرء الشعور الكامل بمسئوليته في رفع صرح هذه الحضارة التي تفرزها طبيعة الدين وفطرة الإنسان .

قامت حضارات إنسانية كثيرة في مختلف فترات التاريخ قبل الإسلام وبعده . وحاولت ابتكار الأيدلوجيات الحضارية التي تستهوى القلوب و وضعت فلسفات للابداعات الصناعية وترفيه الحياة وتوفير الأمن والرخاء وتوجيه السعادة نحو المجتمعات البشرية . ولكنها أخفقت في تحقيق أهدافها -إذا كانت لها أهداف- وجعلت الإنسان يتيه في صحراء المدنية المزورة . ويستنفد طاقاته في البحث عن ملجأ يأوى إليه من وهج الأساليب الصناعية الكاذبة لهذه الحضارة . ويجد فيه ما يزيل عنه تعب المعاناة والشقوة التي يعاني منها من جرّاء المقاييس الزائفة والمعايير الجوفاء التي فرضها على نفسه لمسايرة الزمان ومتابعة التطورات والتغييرات العصرية . وليس حديث الفلسفات الحضارية اليونانية والمدنيات الرومية التي يحكيها تاريخ اليونان والروم قصة بالية طوتها يد النسيان . وإنما هو واقع تاريخي كبير شهده العالم وعاشه الإنسان . ومارسه الفلاسفة والحكام في عصورهم . وليست الحضارة الغربية المادية في العالم الحديث المتفير إلا سلالة الحضارة اليونانية . وفلسفتها الاجتماعية . وقد جرّت على العالم البشري ما جرت من ويلات الشقاء والتعاسة والحروب الأهلية ومصيبة الإرهابية والعنف بجميع ألوانها . كأن العالم يتحول الآن إلى جحيم لا تطاق . الواقع الذي يدركه ويعاينه كل ذي عينين . وليس ذلك إلا نتيجة انفلات العقيدة من أسس هذه الحضارة ومقوماتها . وحرمانها ذلك التوجيه الإيماني الذي يضفى عليها لون الواقعية والخلود . كما هو الشأن في الحضارة الإسلامية الرابضة على صخرة الإيمان والعقيدة الخالصة الصافية .

جاء الإسلام وكانت البشرية تعيش على شفا حفرة من النار والدمار . وتتلقفها جاهليات ومدنيات مفرضة . لا همّ لها إلا اشباع

الغرائز وتحقيق المطامع وانتهاز الفرص الرخيصة لنهب اللذات وممارسة الشهوات . وكان الناس قد تحولوا إلى طبائع وحشية وعواطف بهيمية . لا يراعون فيما بينهم إلا ولا ذمة . وكانوا كما شهد به جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي - من غير استثناء بين أهل الجاهلية والمدنيات المعاصرة لهم - يعبدون الأصنام ويأكلون الميتة . ويأتون الفواحش ويقطعون الأرحام . ويُسيئون الجوار ويأكل القوي منهم الضعيف . . . فلما جاء الإسلام وبُعث النبي الكريم -ﷺ- رسولاً إلى كافة الناس . أنقذهم من تلك الحياة العفنة والمجتمع الفاسد . وأكرمهم بحضارة إنسانية عالمية خالدة . وأخرجهم من ظلمات الوثنية والشرك . والفواحش والرذائل الخلقية إلى توحيد الله تعالى وعبادته . ورمي آلهة الحجارة والأوثان . وخلع عليهم لباس الصدق والعفاف والأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار . وحرم عليهم الخبائث والدماء وأكل مال اليتيم . وقذف المحصنات . وأمرهم بالصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات والقربات . وما يدخل به الإنسان في حياة سعيدة ونزيهة زكية .

هل تكونون قد درستم أسس الحضارة الإنسانية أحسن وأقوى مما جاء في هذه الشهادة الواضحة . فعلى هذه الدعائم من العقيدة والعمل يقوم صرح الحضارة في الإسلام . التي أفاءت على البشرية من الأمن والسعادة والحب والثقة . والطهر والعفاف ما لا يوجد له نظير في أي حضارة إنسانية . مهما كانت ذات صلة بفلسفة اليونان الحضارية أو حضارة الروم أو مدنية العالم المعاصر . وإن ما تفرزه الحضارات المادية اليوم من أزمات . وآفات و ويلات للبشرية . وما تفرض عليها من شقاء وذلة . وأساليب مزورة كاذبة . بعيدة عن طبيعة الحياة الإنسانية وفطرة الدين . ليس ذلك إلا أنها لا تنبع من العقيدة الخالصة . ولا تستند إلى عقيدة الإسلام الصامدة .

ولقد أجاد فقيد الدعوة والعلم السيد قطب الشهيد حيث وصف العقيدة ودورها وتأثيرها في الحياة والمجتمع بقلمه البليغ . فقال : « إن العقيدة الدينية فكرة كلية تربط الإنسان بقوى الكون الظاهرة والخافية . وتثبت روحه بالثقة والطمأنينة . وتمنحه القدرة على مواجهة القوى الزائلة والأوضاع الباطلة بقوة اليقين في النصر وقوة الثقة في الله . وهي تفسر للفرد علاقاته بما حوله من الناس والأحداث والأشياء وتوضح له غايته واتجاهه وطريقه وتجمع طاقاته وقواه كلها وتدفعها في اتجاه . ومن هنا كذلك قوتها قوة تجميع القوى والطاقات حول محور واحد وتوجيهها في اتجاه واحد تمضي

اليه مستنيرة الهدف في قوة وفي ثقة وفي يقين . والشخصية الإنسانية السوية وحدة متماسكة فهي في حاجة إلى عقيدة موحدة تصدر عنها في كل اتجاه وتستلهمها في الشعور والسلوك وتستهديها في مواجهة الكون والحياة وترجع إليها في كل صغيرة وكبيرة . وفصل هذه العقيدة في حياة كل إنسان أن تكون نقطة ارتكاز تتجمع إليها خيوط حياته ونشاطه . فلا تتمزق شخصيته وتتبعثر . ولا يدركها القلق والحيرة والاضطراب وكلما قويت هذه النقطة واشتدت صلاتها بالخيوط المنبثة هنا وهنالك في حياة الفرد ونشاطه كانت شخصيته أقوى لأنها أكثر تجمعًا . وكانت خطواته أهدى لأنها أوحد طريقًا . والعقيدة التي تتسع لكل ألوان النشاط الإنساني هي عقيدة أفضل وأكمل من العقيدة التي تنظم بعض ألوان النشاط وتقصر عن بعضها . وكلما ثاب الفرد في نشاطه كله إلى عقيدة واحدة كان ذلك أفضل له وأيسر من أن يرجع في ألوان نشاطه إلى عقائد متفرقة . إن وحدة العقيدة حينئذٍ تحقق وحدة الشخصية دون أن تجور على ألوان نشاطه المتعددة ودون أن تضيق مجال النشاط أو تحده ودون أن تمزقها طرائق قددًا . وتوقع بينها الاضطراب أبدًا .

والعقيدة الإسلامية هي المثال الواحد الذي عرفته الإنسانية في تاريخها الطويل في هذا المجال إنها العقيدة التي تتسع فتشمل كل نشاط الإنسان في كل حقول الحياة فلا تقصر مهمتها على حقل دون حقل ولا على اتجاه دون اتجاه . إنها لا تدع ما لقيصر لقيصر . وما لله لله . فما لقيصر وقيصر ذاته في العقيدة الإسلامية كله لله وما لقيصر حق ليس للفرد من رعاياه وأنها لا تتولى روح الفرد وتهمل عقله وجسده أو تتولى شعائره وتهمل شرائعه . أو تتولى ضميره وتهمل سلوكه وأنها لا تتولاه فردًا وتهمله جماعة ولا تتولاه في حياته الشخصية وتهمل نظام حكمه أو علاقات دولته .

إنها الفكرة الكاملة الشاملة التي تمتد خيوطها في الحياة الإنسانية امتداد الشرايين في الكائن الحي وامتداد الأعصاب » .

[الإسلام والسلام العالمي]

فليست العقيدة الإسلامية إذن إلا القاعدة الأولى والأخيرة لكل بناء . فرديًا كان أم جماعيًا . إقليميا أو دوليًا . سياسيًا أو اقتصاديًا . علميًا كان أو عمليًا . إنها توفر الجذور الكاملة العميقة للحضارة الإنسانية في هذا الكون . وتربطها بمصدر القوة الأصيلة الخارقة في السماء والأرض . وتمنحها القوة والنشاط والحياة في كل زمان ومكان . وفي كل جيل وعصر . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ٧

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

الإمام مسلم بن الحجاج القشيري وكتابه الصحيح ونظرات على بعض شروحه

لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
عرض وتعليق : بلال عبد الحي الحسني الندوي

هو الإمام الحافظ حجة الإسلام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسافوري يقال له : ولد سنة أربع ومائتين ، وأول سماعه سنة ثماني عشرة ومائتين ، وممن سمع عنهم الإمام أحمد بن حنبل (١) وخلق كثير، و قال أحمد بن سلمة (٢)

---

(١) الإمام شيخ الإسلام الحافظ الحجة الثبت أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي أحد الأئمة الأربعة ذو المذاهب المتبعة (١٦٤-٢٤١هـ) أخذ عن الشافعي وأبي يوسف وابن عينية واقرانهم وأخذ عنه ابن المديني وأمثاله ، وله مناقب جمّة . فليراجع سير أعلام النبلاء : ١١/١٧٧-٢٥٧ ، تاريخ بغداد : ٤/٤١٢ . تذكرة الحفاظ : ٢/٤٣١ ، ورجال الفكر والدعوة ، الجزء الأول للعلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي .

(٢) الحافظ الحجة العدل أحمد بن سلمة بن عبد الله ، رفيق مسلم في الرحلة سمع قتيبة و إسحاق بن راهويه و محمد بن مهران الجمال و خلقًا كثيرًا ، و جمع وصنّف ، حدث عنه أبو زرعة وأبو حاتم وابن وارة وغيرهم ، توفي سنة ست وثمانين ومائتين من الهجرة ، سير أعلام النبلاء : ١٢/٢٧٢ ، تاريخ بغداد : ٤/١٨٦ ، تذكرة الحفاظ : ٢/١٢٧ .

رأيت أبا زرعة (١) وأبا حاتم (٢) يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما ، وقال أبو قريش (٢) : حفاظ الدنيا أربعة

---

(١) الإمام سيد الحفاظ عبيد الله بن عبد الكريم محدث الرّي مولده بعد نيف ومائتين ، سمع من أحمد بن حنبل والقعنبي ويحيى بن بكير ، وطبقتهم ، وارتحل لطلب الحديث إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان وكتب ما لا يوصف بكثرة ، وكان إمامًا ربانيًا حافظًا متقنًا مكثرًا أخذ عنه يونس ابن عبد الأعلى ومسلم بن الحجاج وأبو حاتم وغيرهم ، توفي سنة أربع وستين ومائتين من الهجرة . سير أعلام النبلاء : ١٢/٦٥ ، تاريخ بغداد : ١٠/٣٢٦ ، تذكرة الحفاظ : ٢/٥٥٧ ، تهذيب التهذيب : ٧/٣٠ .

(٢) الإمام الحافظ الناقد محمد بن إدريس بن المنذر بن داؤد الحنظلي الغطفاني (١٩٥-٢٧٧هـ) سمع عن عبيد الله بن موسى ومحمد بن عبد الله الأنصاري والأصمعي وأقرانهم ، وكان أحد أئمة الحفاظ والأثبات ، وكان من بحور العلم طوّف البلاد وبرع في المتن والإسناد وجمع وصنّف وجرح وعدّل وصحّح وعلّل ، أخذ عنه ابنه عبد الرحمن ويونس بن عبد الأعلى وأبو زرعة الرازي رفيقه وقرابته وغيرهم . سير أعلام النبلاء : ١٢/٢٤١ ، تاريخ بغداد : ٢/٧٢ ، تذكرة الحفاظ : ٢/٥٦٧ ، تهذيب التهذيب : ٩/٣١ .

(٢) الإمام العلامة الحافظ أبو قريش محمد بن جمعة بن خلف القهستاني الأصم ، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين ، سمع أحمد بن منيع وأبا كريب وسلمة بن شبيب وطبقتهم بالرّي والكوفة والبصرة والحجاز ، وحدث عنه أبو حامد بن الشرقي وأبو علي النيسافوري وأبو بكر الشافعي وغيرهم ، كان من الحفاظ المتقنين كثير السماع والرحلة ، توفي سنة ٣١٢هـ . سير أعلام النبلاء : ١٤/٣٠٤ . تاريخ بغداد : ٢/١٦٩ ، تذكرة الحفاظ : ٢/٧١٦ .

فذكر منهم مسلماً ، وقال محمد بن الماسرجسي ، سمعت مسلماً يقول : صنفت هذا الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة .

قال ابن الشرقي (١) سمعت مسلماً يقول ما وضعت شيئًا في كتابي هذا المسند إلا بحجة وما أسقطت منه شيئًا إلا بحجة (٢) مات مسلم في رجب ٢٦١هـ (٣) .

وإن صحيح مسلم - فضلاً عن كونه من الصحاح الستة ، باتفاق أهل الفن والنقاد وقبول الأمة لهذا الحكم - يمتاز بمزايا شأن الأعمال العلمية

---

(١) الإمام العلامة الثقة حافظ خراسان أبو حامد أحمد بن محمد الحسن النيسافوري ابن الشرقي تلميذ مسلم ، سمع عنه وعن الذهلي وأبي حاتم الرازي ، وحدث عنه أبو علي النيسافوري أبو العباس بن عقدة وأبو أحمد بن عدي وغيرهم ، وكان ثبتًا حافظًا متقنًا ، سير أعلام النبلاء : ١٥/٣٧ ، تاريخ بغداد: ٤/٢٤٦ ، تذكرة الحفاظ : ٢/٨٢١ .

(٢) وذكر في كتابه : « ليس كل شئ عندي صحيح وضعتها هنا ، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه » [صحيح مسلم باب التشهد في الصلاة] وأراد بالإجماع ما ذكره البُلقيني ، إنه قدم أحاديث على الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعثمان بن أبي شيبة وسعيد بن منصور الخراساني فأجمعوا على صحتها وبعد فراغه من التأليف قدمه على الحافظ أبي زرعة الرازي وحذف بعض الأحاديث التي أشار إليها الحافظ بأنه فيها شئ من العلة القادحة ، فصار هذا الكتاب من أصح الكتب في هذا الباب بعد صحيح البخاري ، حتى قال الإمام في مقدمة هذا الكتاب : لو أن أهل الحديث يكتبون مئتي سنةً الحديث فمدارهم على هذا المسند يعني صحيحه .

(٣) ملخص من كتاب تذكرة الحفاظ للذهبي .

والمجهودات الفنية التي تصدر عن رجال قد يشتركون في فن وفي عصر ، وفي الإخلاص والجهد ، ويلتقون على أساتذة وأئمة هذا الشأن ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ .

نذكر بعضها وأهمّهـــا :

١- هو أسهل متناولاً من حيث إنه جعل لكل حديث موضعًا واحدًا يليق به ، جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها ، وأورد في أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة ويسهل على الطالب النظر في وجوهه واستثمارها وتحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه (١) .

٢- ومما يمتاز به صحيح مسلم أن مسلمًا رحمه الله يسوق الحديث بكامله في الباب الواحد - لو كان الحديث طويلاً - كما هو الحال في المزية الأولى ، حيث يجمع طرقه فيه ، و لا يكثر ذلك في أبواب أو كتبٍ مختلفة إلا نادرًا .

٣- ومما يمتاز به صحيح مسلم أنه ليس فيه بعد الخطبة ، إلا الحديث السّرد ، ولم يمازجه غير صحيح من أقوال التابعين وأتباع التابعين والنصوص الفقهية ، ولم يتصد استنباط الأحكام .

٤- ومما يمتاز به صحيح مسلم اعتناؤه بضبط اختلاف لفظ الرواة حدثنا فلان وفلان - واللفظ لفلان - وإذا كان بينهما اختلاف في حرف من متن الحديث أو صفة الراوي أو نسبه أو نحو ذلك فإنه يبنيه كما يمتاز صحيح مسلم بأنه ثاني مصنف يجمع الحديث الصحيح المجرد إذ الأول

---

(١) ذكره النووي في شرح لمسلم .

صحيح البخاري (١) .

ويقول العلامة الإمام الشيخ عبد العزيز بن الإمام حكيم الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم (٢) المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي - رحمه الله تعالى - .

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي البخاري حبر الأمة وأمير المؤمنين في الحديث (١٩٤-٢٥٦هـ) ولد في بخارى ونشأ يتيمًا ، قام برحلة طويلة في طلب الحديث فزار خراسان والعراق والشام ومصر والعراق ، وسمع من نحو ألف شيخ ، منهم الإمام أحمد ابن حنبل ، كان من أوعية العلم ، يتوقد ذكاءًا لم يخلف بعده مثله في سيلان ذهنه وسرعة حفظه ، له مصنفات شهيرة أشهرها في الآفاق صحيحه ، هو يقول : صنفت كتاب الصحيح بست عشرة سنة خرجته من ست مائة ألف حديث ، وجعلته حجة ، توفي ليلة الفطر في شوال ، تذكرة الحفاظ : ١٢٠/٢ ، تهذيب التهذيب : ٤٧/٩ ، وفيات : ٤٥٥/١ .

(٢) هو الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي العمري سراج الهند (١١٥٩-١٢٢٩هـ) ، أخذ عن والده وبعد وفاته أخذ عن الشيخ نور الله والشيخ محمد عاشق والشيخ محمد أمين الكشميري وهم كانوا من أجلة أصحاب والده ، حتى برع في العلوم وحصلت له الملكة الراسخة ، كان أحد أفراد العالم بفضله وعلمه وذكائه وفهمه وسرعة حفظه ، اشتغل بالدرس والإفادة وله خمس عشرة سنة فدرس وأفاد حتى صار في الهند العلم المفرد وتخرج عليه كثير من العلماء والمشايخ كالشيخ عبد القادر الدهلوي ، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، والمفتي إلهي بخش الكاندهلوي وغيرهم ، له مصنفات منها تفسير القرآن وقد ضاع معظمها في ثورة الهند ، نزهة الخواطر : ٢٦٨/٧ ، رجال الفكر والدعوة ، الجزء الرابع ، للعلامة الشيخ الندوي - حفظه الله تعالى - .

إن الإمام مسلمًا قد أودع في صحيحه عجائب فن الحديث خصوصًا في سرد الأسانيد وحسن سياق المتون بورع تام وتحدّ لا شك فيه لا في الرواية وتلخيص الطرق مع الاختصار وضبط الانتشار إلى حدٍّ لا نظير له فيه ، لذلك فضّل الحافظ أبو علي النيسافوري (١) صحيح مسلم على مؤلفات هذا العلم ، فقال :

« ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم » ذهب الجماعة من المغاربة إلى ذلك ودليلهم أن شرط مسلم ، أنه لا يسرد حديثًا إلا الحديث الذي رواه تابعيان عن اثنين من الصحابة ، وهكذا في الجميع من الطبقات من تبع التابعين ، ومن دونهم (٢) .

---

(١) الحافظ الكبير الثبت الجوّال الإمام أبو علي الحسين بن محمد النيسافوري الماسرجسي (٢٩٨-٣٦٥هـ) سمع عن أبيه وابن خزيمة وابن الشرقي وخلق كثير وطوّف البلاد و أطال المكث بمصر و كتب الفقه و الحديث بها ،و خرج على الصحيحين مستخرجًا حافظًا - وكتب : « المسند الكبير» في نحو من وقر بعيرٍ، قال الحاكم : لم يصنف في الإسلام مسند أكبر منه ، وقال قد سمعته يقول : سمعت أبي يقول : سمعت مسلم بن الحجاج ، يقول : صنفت هذا المسند يعني صحيحه من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة ، سير أعلام النبلاء : ١٦/٢٨٧ ، تذكرة الحفاظ : ٢/٩٥٥ ، شذرات الذهب : ٢/٥٠ .

(٢) وهذا خلاف الواقع ، يقول النووي في شرح مسلم : اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن الكريم صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وتلقاهما الأمة بالقبول ، وكتاب البخاري أصحهما صحيحًا وأكثرهما فوائد ، ثم إن شرطهما أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات و يكـــون إسناده متصلاً غير مقطوع ، و إن كان للصحابي راويان >>>

ولا بدّ هنا من التنوية بأن شرح النووي لمسلم (١) يمتاز من بين شروح الحديث بخصائص ومزايا ، ترجع إلى إخلاص الشارح وربّانيته واقتداره على الشرح والإيضاح في سهولة ويسرٍ ، منها إحداث الذوق والمناسبة بالحديث النبوي الشريف .

ويطول استعراض الشروح والتعليقات على صحيح مسلم مدى العصور والأجيال ، وعلى مستويات من البحث والتنقيح والنفع والإفادة .

>>> فصاعدا فحسن ، وإن لم يكن له إلا راو واحد إذ أصح الطريق إلى ذلك الراوي أخرجاه ، والجمهور على تقديم صحيح البخاري ، وهذا الذي نقل عن بعض المغاربة من تفضل صحيح مسلم محمول على ما يرجع إلى حسن السياق وجودة الوضع والترتيب ويدل قول النساني على ذلك ، إن ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخاري وأراد به جودة الوضع والترتيب لأنه لا شك فيه ، أن صحيح البخاري أصح الكتب ، ذكره النووي في شرحه لمسلم .

(١) هو شرح متوسط مفيد سماه المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج ، قال : ولو لا ضعف الهمم وقلة الراغبين لبسطته فبلغت به على ما يزيد على مائة مجلد لكني اقتصر على التوسط ، ومختصر لهذا الشرح للشيخ شمس الدين محمد بن يوسف القونوي ولمسلم شروح كثيرة تبلغ إلى السبعين تقريبًا ، منها ، الإكمال للقاضي عياض ، وإكمال إكمال المعلم للإمام أبي عبد الله محمد بن خليفة الوشتابي في أربعة مجلدات كبار، والمفهم في شرح غريب لأبي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي في خمسة مجلدات ، وشرح للقاضي زكريا بن محمد الأنصاري ، وشرح للإمام السيوطي سماه الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ، وشرح للقسطلاني وسماه منهاج الابتهاج بشرح مسلم بن الحجاج بلغ نحو نصفه في ثمانية أجزاءٍ كبار ، وشرح للعلامة علي القاريْ في أربعة مجلدات وغير ذلك ،

وقد قيّض الله في عصرنا الحاضر وفي محيطنا العلمي والديني والتأليفي العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني (١) الديوبندي المتوفي سنة (١٣٦٥هـ) لشرح صحيح مسلم وكان جديرًا بذلك ، قديرًا عليه ، لرسوخه في العلوم الشرعية وتضلّعه منها ، مع صحة العقيدة وسلامة الفكر وما يحتاج إليه الجيل الإسلامي الجديد ، والعصر الحديث من تحقيقات وإقناعات علمية عقلية كلامية وما يقتضيه الزمان من بسط في بعض المواضع وإيجاز في بعضها وما أثير في هذا العهد من بحوث وتساؤلات وتشكيكات لتأثير الحضارة الغربية ، والنظم التعلمية الأجنبية مع بيان اسرار الشريعة مستفيدًا في ذلك من كتب الإمام ولي الله الدهلوي (٢) ،

---

(١) هو العلامة الشيخ شبير أحمد بن فضل الرحمن العثماني (ولد في سنة ١٣٠٥هـ) ، قرأ في ديوبند ، أخذ عن العلامة محمود الحسن الديوبندي وبرز في الحديث والتفسير والكلام ودرس في ديوبند ، ثم ارتحل إلى ڈابهيل مع العلامة أنور شاه الكشميري وبعد مدة عاد إليها وأقام سبع سنين عاكفًا على الدرس والإفادة ثم تركها ، سافر عدة مرات إلى حيدرآباد ، حتى ولاه النظام إدارة دار العلوم العربية ولكنه غادر إلى باكستان ولم تمكنه العودة إلى الهند ، إنه رحل إلى الحجاز للحج والزيارة ١٩١١م ، وألقي محاضراته بالعربية فأعجب بها العلماء الوافدون من أنحاء العالم الإسلامي .

له مصنفات عديدة أشهرها « فتح الملهم بشرح صحيح مسلم » ولم يتم وأكمله الشيخ محمد تقي العثماني ، وله « تفسير القرآن الكريم » و « فضل الباري بشرح صحيح البخاري » في الأردية ، جمعه ورتبه الشيخ القاضي عبد الرحمن ، وغيرها من المصنفات ، توفي في باكستان سنة ١٣٦٩هـ .

(٢) هو الإمام حكيم الإسلام قطب الدين أحمد ولي الله بن عبد الرحيم >>>

والإمام الغزالي (١) ، والشيخ محي الدين (٢) ابن عربي ، مع استدلال للمذهب الحنفي في القضايا الشرعية ، وإيضاحه مع البحث المقارن والدراسة المقارنة ، ونقل ما انتقل من جيل إلى جيل من الدارسين لكتب

<<< العمري الدهلوي مسند الهند وعالم أسرار الشريعة (١١١٤-١١٧٦هـ) قرأ سائر العلوم على والده ، وكان يختلف إلى المحدث الشيخ محمد أفضل السيالكوتي واستفاد منه في الحديث ، سافر إلى الحرمين الشريفين ، وأقام بهما عامين وصحب علماءها وأخذ الحديث عن الشيخ أبي طاهر الكردي ، ورجع إلى الهند ، ونشر الحديث فيها ، وقد ألهمه الله تعالى من العلوم والأسرار وجمع فيه من العلوم ما يندر نظيره في تاريخ الأمم و الديانات ، يقول عنه شيخه الكردي : « يسند عن اللفظ وكنت أصحح منه المعنى » من أشهر مصنفاته : « حجة الله البالغة » في علوم أسرار الشريعة ، (نزهة الخواطر : ٦/٢٣٩٧ ، رجال الفكر والدعوة : ٤/ للعلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي) .

(١) هو الإمام حجة الإسلام زين العابدين أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) أخذ عن إمام الحرمين حتى برع في زمن أستاذه ، ثم ولي التدريس بمدرسة «النظامية» ببغداد ، وهنا بعد سيته وارتفعت منزلته فترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد وبلغ الكمال ، إنه دخل في احشاء الفلسفة ، ثم خرج منها وصنف كتابه : « تهافت الفلسفة » للرد عليها وهي من أكبر مآثره ، وله غير ذلك من مصنفات نافعة أشهرها « احياء علوم الدين » .

(٢) العلامة محي الدين أبو بكر محمد بن علي الحاتمي المرسي ابن العربي سمع من ابن بشكوال وابن رستم وابن صاف وغيرهم ، وكان ذكيًا كثير العلم ، ثم تزهد وتفرد وتعبد وتوحد ، وسافر وتجرد وعلق شيئًا كثيرًا في تصوف أهل الوحدة ، ومن أشهر مصنفاته : « نصوص الحكم » وفيه ما فيه ، توفي سنة ثماني وثلاثين وست مائة ، سير أعلام النبلاء : ٢٢/٤٨ .

الحديث والمدرسين لها من تحقيقات أساتذة هذه المدرسة الحديثية الحنفية ، وما جاء منها في كتاب مطمور أو مغمور ، لم يكن بمتناول طلبة هذا الفن مع اعطاء مذاهب غير المذهب الحنفي حقها من العرض الصحيح والبحث المنصف .

لكن إرادة الله غالبة ، فلم يمهله الأجل لإكمال هذا الشرح المفيد ذي قيمة علمية فنية كلامية - وكل شيء عنده بأجل مسمًّى - فقد وافاه الأجل سنة ١٣٦٩هـ في كراتشي باكستان ، وقد أكمل الجزء الثالث من الشرح وكان حامل لواء الإسلام والملقب بحق بشيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - وجزاه على خدمة الإسلام والمسلمين وتقنين البلاد بالقانون الإسلامي ، مدى جهده واستعداد المسئولين واجابتهم ذلك .

وقد قدّر الله تبارك وتعالى ، هو المعين دائمًا والموفق لإكمال سلاسل الخير ، وما بدأ به مخلص من خدمة للشريعة الإلهية والكلام النبوي الشريف وله أمثلة على مدى القرون والأنواع كما يدل على ذلك التاريخ العلمي والديني أن يكون إكمال هذه السلسلة المباركة على يدٍ من ينوب عن بادئ هذه السلسلة علمًا ومذهبًا و وطنًا ونسبًا ، ويمتاز - مع إجلال المؤلف الأول والاعتراف بفضله وجدارته - بمزايا تكون نتيجة تقدم الزمان وسنوح الفرص للدراسات الحديثية والقضايا العصرية والاطلاع على تساؤلات علمية وتشريعية وما يحدث - كنتيجة للدراسات المقارنة وبحوث المستشرقين وكتاباتهم - من شبهات وتساؤلات - وكان ذلك بنهوض صاحب الفضيلة والسعادة العالم الراسخ الضليع والحقوقي الكبير فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني (١) - بارك الله في حياته ونفع به -

(١) العالم الضليع الفقيه المحدث محمد تقي بن العلامة المفتي محمد شفيع العثماني ، ولد في خامس شوال سنة ١٣٦٢ من الهجرة ، ودرس في دارالعلوم >>>

قاضي التمييز الشرعي في المحكمة العليا في باكستان ، فقد مارس التدريس وأخذ العلوم من منابعها الأصيلة ، ورجالها الراسخين في العلم والدين فبدأ بهذا العمل الجليل و وفقه الله تعالى لإكمال هذه السلسلة في سبعة مجلدات كبار ، تسمى : « بتكملة « فتح الملهم » ونشرتها مكتبة دار العلم كراتشي - باكستان .

وكانت هذه الخاتمة للسلسلة المباركة ، التي بدأ بها العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني - رحمه الله تعالى - ملأ لفراغ وقضاءًا لحاجة علمية ، دينية ، فنية ، ومواجهة لبحوث وتساؤلات وشبهات ، يقتضيها تغير الزمان وتطور الحضارة والفكرة ، والبحوث المقارنة ، فكان لابد من مواجهة هذه التساؤلات والشبهات ، الخفية والعلانية وحلّها في ضوء الشريعة الإسلامية والحديث النبوي الشريف من قضايا واحكام في ضوء العلم الراسخ الواسع ، والاطلاع على التشريعات الأجنبية ، والعصرية ، والعلوم الغربية وبعض اللغات الأجنبية ، فكان فضيلة الأستاذ محمد تقي العثماني بحكم تضلّعه من العلوم الشرعية ، وتناولها وتلقيها من علماء راسخين متضلعين كوالده العلامة الكبير والعالم الضليع الفقيه المحدث والمدرس المحنّك الموثوق به في دينه وعلمه واتجاهه ، العلامة المفتي

>>> كراتشي عن أساتذتها واستفاد بوالده العظيم وبرع في الفقه والحديث ، ثم التحق بجامعة كراتشي ، ثم بجامعة پنجاب ، وحصل الماجستير بوجه ممتاز ، ثم اشتغل بالتدريس بدار العلوم وفاق بدقة في الشعور والاتزان في الفكر والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وهو الآن نائب رئيس دار العلوم كراتشي ، وقاضي التمييز الشرعي بالمحكمة العليا بباكستان ، له مصنفات وبحوث مفيدة ، بارك الله في حياته ونفع الله به الإسلام والمسلمين .

محمد شفيع العثماني الديوبندي (١) وغيره من العلماء الراسخين ، والأساتذة البارعين ، جديرًا بذلك ، قديرًا عليه ، فتناول عددًا كبيرًا من القضايا ، وما جاء في الحديث النبوي واحتوى عليه صحيح مسلم ، كغيره من كتب الحديث والصحاح والمسانيد من احكام وقضايا ، قد تُثار حولها بحوث وتساؤلات بتأثير الثقافة الحديثة ، والحضارة الغربية ، والتشريعات الجديدة ، بالبحث العلمي والمقارن ، وأزال ما أثير حولها من شبهات ، وما استغلت لمنافع شخصية أو جماعية أو سياسية ، ويكفي لذلك على سبيل المثال ما جاء في المجلد الثالث ، الذي هو أمام الكاتب من بحث في الجهاد والإمارة والصيد والذبائح والأطعمة والأشربة ، وتقاس على ذلك بقية المجلدات .

فجاء هذا العمل العلمي والتأليفي في أوانه وفي سكانه وحالفه التوفيق الإلهي ، نسأل الله أن يتقبله وينفع به ويجزي صاحبه أحسن الجزاء ، بارك الله في حياته ونفعه ونفع به ، ويفتق به قريحة المعلمين والمتعلمين والمقننين والمشرعين ، ويوفقهم للنهوض لمثل هذه الأعمال المثمرة المقبـولة عند الله ، و عند المنصفين و الراسخين في العلم و الشاهـدين بالفضل .

---

(١) العلامة المفتي محمد شفيع بن محمد ياسين الديوبندي (١٣١٤-١٣٩٦هـ) أحد العلماء المبرزين في الفقه والحديث والتفسير ، تخرج بجامعة ديوبند الإسلامية ، ثم التحق بها ودرس وأفاد ، ثم هاجر إلى باكستان سنة ثماني وستين وثلاث مائة وألف ، وأسس مركزًا علميًا في كراتشي ، وعكف على الدرس والإفادة والتصنيف والتأليف واستفاض منه كثير من العلماء .

كان من نوادر العصر في الاتزان في الفكر والتعمق في الفقه واسع الاطلاع جيد القريحة وكانت له مشاركة في الشعر ، لقب بالمفتي الأعظم بباكستان ، يبلغ تأليفه إلى مائتين تقريبًا ، أشهرها « معارف القرآن » في ثماني مجلدات كبار ، و « جواهر الفقه » في خمس مجلدات وغيرهما .

إعجاز القرآن والإطار البياني

[الحلقة الأولى] ﴿التقديم لمراعاة الفاصلة نموذجًا﴾

سعادة الدكتور رشيد بلحبيب

لقد تحدثت مصادر الدراسات القرآنية والبلاغية وكتب التفسير عن وجوه الإعجاز في القرآن وحصرتها في سبع جهات : ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدي للكافة والصرفة ، والبلاغة والأخبـــار الصادقة في الأمور المستقبلية ، ونقض العادة وقيامه بكل معجزة (١) .

وحاولت معظم الدراسات البلاغية قديمها وحديثها إبطال تلك المذاهب وإثبات الإعجاز بالفصاحة ، يقول الرازي : « ولما بطلت هذه المذاهب ولابد له من أمر معقول حتى يصح التحدي به ويعجز الغير عنه ولم يبق وجه معقول في الإعجاز سوى الفصاحة ، علمنا أن الوجه في كون القرآن معجزًا هو الفصاحة » (٢) .

وقال الزملكاني في المعنى نفسه : « وإذا بان بطلان هذه الأقسام تعين القسم الرابع وهو أن يكون الإعجاز راجعًا إلى ما قدمناه من توخى معاني النحو وأحكامه في النظم بأن يوقع كل فن في رتبته العليا في اللفظ والمعنى الافرادي والتركيبي » (٣) .

وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا

ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤمًا وتشاكلاً من نظمه ، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها .. واعلم أن القرآن صار معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعاني (٤) .

ولما ثبت أن عجز العرب إنما كان من المزايا التي ظهرت لهم في نظم القرآن والبدائع التي راعتهم في مبادئ الآيات ومقاطعها .. وجب على العاقل أن يبحث عن تلك المزايا والبدائع ما هي ؟ وكم هي ؟ وكيف هي ؟ ولا يمكن ذلك إلا بالبحث عن حقيقة المجاز والحقيقة والاستعارة والتشبيه والتمثيل وحقيقة النظم والتقديم والتأخير .. وسائر وجوه المحاسن المعتبرة في النظم والنثر (٥) .

ولا شك أن هذه المزايا راسخة في التراكيب ، يقول ابن الأثير : « ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ، ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب (٦) .

إن المسألة الأساسية التي يعود إليه نظر البلاغيين في الإعجاز - و خاصة الجرجاني - هي تحديد مكانة المزية في القول أو في الأقوال القرآنية .. وإعجاز القرآن يعني في نهاية الأمر تبيين الفروق بين القول القرآني والأقوال الأخرى ، وتبيين الفروق يقوم على أساس توضيح الصفات الجديدة التي التبست بالتراتيب اللفظية النحوية الراجعة أصلاً إلى واضع اللغة فجعلت فيها المزية التي يستحيل أن تدانيها مزية من

صنع البشر (٧) .

ولذلك كان عبد القاهر الجرجاني على مرمى خطوات قصار من الزعم بأن القرآن الكريم بوصفه كتابًا أدبيًا أبدع في ذات النحو وخلق أنظمة خاصة وسلك إلى المعاني طرائق نحوية لم يكن للأدب بها عهد (٨) من دقة متناهية في إنزال الكلمات منازلها وبراعة في استغلال معطيات التقديم النحوي والدلالي ومشاكلة رؤوس الآي ، حتى أمكن القول بأن التقديم مظهر من مظاهر الإعجاز ، يقول الزركشي : « وبهذا يكون القصد - بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها - إظهار الإعجاز على الطريقتين جميعًا .. » (٩) .

إن من أبرز خصائص النظم القرآني مراعاة الفاصلة والتزامها التزامًا مطردًا لا يتخلف ، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها - كما سيتضح - وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام ، يقول الزركشي : « اعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدًا ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرًا عظيمًا ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع (١٠) منها التقديم والتأخير ، فقد جاء تأخر الخبر عن المعطوف عليه في آية واحدة ، هي قوله تعالى : ﴿ وإن أدري أ قريب أم بعيد ما توعدون ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٨] .

قال أبو حيان : « تأخر المستفهم عنه لكونه فاصلة ، وكثيرًا ما يرجع الحكم في الشئ لكونه فاصلة آخر الآية » (١١) .

ولهذا دعا السهيلي إلى وجوب البحث عن الحكمة في تقديم ما قدم

وتأخير ما أخر من ألفاظ القرآن الكريم (١٢) ولعل من العلل الداعية إلى ذلك مراعاة التناسب والتشاكل ، وهو ما سيحاول هذا البحث أن يسلط عليه الضوء .

تعريف الفاصلة وبعض خصائصها :

الفاصلة هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع (١٢) وعرفها الرماني بكونها حروفًا متشاكلةً في المقاطع توجب حسن الإفهام (١٤) أو يقع بها إفهام المعاني على حد تعبير الباقلاني (١٥) وهي من المحسنات التي يحرص كل أسلوب رفيع عليها وتدخل في علم البديع الباحث عن التركيب من حيث وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال و وضع الدلالة على المرام (١٦) .

إن الفاصلة ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم ، بها انفرد القرآن من النثر والشعر معًا وهي من أبرز الخصائص التي جعلته نحوًا جديدًا من أنحاء البيان وطريقًا فريدًا من طرق التعبير ، « وقيمة الفاصلة في بلاغة النظم القرآني وحلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء ، وما كان للقرآن أن يحافظ عليها ويختارها بعناية فيأتي بها متمكنة في موضعها مستقرة في نسقها لو لم يكن لها شأن كبير في بلاغته وتحقيق أهدافه » (١٧) .

وتقطيع المنثور من الكلام جملاً أو فقرًا أو فواصل عمل بلاغي تقتضيه حال النفس وحركة الذهن وطبيعة التنفس ، وهذا التقطيع - وإن نشأ في اللغة على مقتضى الطبع - له فلسفة وهندسة وموسيقى هن عناوين علم البلاغة وبراهين فن البليغ .. فالهندسة والموسيقى ملاكهما التلاؤم بين أجزاء الفقر وفواصلها (١٨) ولهذا نجد من مصطلحات هذا

التقطيع الفاصلة والسجع ورأس الآية والقافية .. ومع كون الفاصلة أعم هذه المصطلحات وتصدق عليها كلها إلا أن بعض العلماء حاول تحديد الفروق بين مصطلح وآخر ، فقد فرق الداني بين الفواصل و رؤوس الآي ، فقال : « الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس آية ، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية ، قال : ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبوية في تمثيل القوافي ﴿ يوم يأت ﴾ [سورة هود ، الآية : ١٠٥] ، ﴿ وما كنّا نبغ ﴾ [سورة الكهف ، الآية : ٦٢] وليسا رأس آيتين بإجماع مع ﴿ إذا يسر ﴾ [سورة الفجر ، الآية : ٤] وهو رأس آية باتفاق » (١٩) .

قال الجعبري معقبًا على مذهب الداني : « وهو خلاف المصطلح ، ولا دليل له في تمثيل سيبوية ﴿ يوم يأت ﴾ و ﴿ ما كنّا نبغ ﴾ وليسا رأس آي لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية (٢٠) .

ومن جهات الحسن الأسجاع وهي في النثر كما القوافي في الشعر (٢١) ومن جهاته الفواصل القرآنية (٢٢) وخصت فواصل الشعر باسم القوافي لأن الشاعر يقفوها أي يتبعها في شعره لا يخرج عنها وهي في الحقيقة فاصلة لأنها تفصل آخر الكلام ، فالقافية أخص في الاصطلاح إذ كل قافية فاصلة ولا عكس (٢٢) .

بين الفاصلة و السجع :

يقول الرماني في التمييز بين المصطلحين : « الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني ، والفواصل بلاغة

والأسجاع عيب وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة ، إذ كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة ، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة ، وإذا كانت المشاكلة خلاف ذلك فهو عيب لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة (٢٤) .

فعلى هذا يكون السجع هو الذي يُقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه ، والفواصل تتبع المعاني ولا تكون مقصودة لذاتها (٢٥) .

والحق أن العلماء الذين تناولوا الفواصل القرآنية أو السجع قبل الرماني لم يفرقوا بينهما ، وقد كان قوله : « والفواصل بلاغة والأسجاع عيب » مثار جدل شديد بين العلماء ولم يأخذ أحد برأيه في تهجين السجع على الإطلاق ، يقول ابن حيدر : « ورأيت قومًا يذهبون إلى كراهة السجع والازدواج في الكلام من غير أن عرفت لهم في ذلك حجة فعلمت أنهم ذموا ما راموه فلم يصلوا إليه وتعاطوه فلم يقدروا عليه وإلا فهذا القرآن وكلام الرسول -ﷺ- وهما مسجوعان فأما الذي في القرآن الكريم فأكثر من أن يحاط به إذ كان مبناه عليه » (٢٦) .

والمعول عليه عند ابن سنان هو التكلف وعدم التكلف ، فما اتصف بالتكلف كان عيبًا سواء سمي فاصلة أو سجعًا ، وإذا كان خاليًا من التكلف ماضيًا على السجية والطبع فهو بلاغة ، سواء سمي فاصلة أو سجعًا ، يقول ابن سنان : « لأنه لا يخلو من أن يأتي طوعًا سهلاً وتابعًا للمعاني أو بالضد من ذلك حتى يكون متكلفًا يتبعه المعنى ، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان وإن كان من

الثاني فهو مذموم مرفوض والقرآن لم يرد فيه إلا ما هو من القسم الأول المحمود لعلوه في الفصاحة .. » .

أما قول الرماني : « إن السجع عيب والفواصل بلاغة » على الإطلاق ، فغلط لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعًا للمعنى وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة والفواصل مثله وإن كان يريد ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله (٢٧) .

وقد كان ابن الأثير لا يرى بأسًا من تسمية ما جاء منه في القرآن سجعًا ولم يحدده بالفاصلة كما فعل الرماني (٢٨) ، وهو ما ذهب إليه الشيخ حمزة العلوي (٢٩) ، وابن القيم (٣٠) .

فالقول بالسجع في القرآن تقرير للفاصلة ، والقول بالفاصلة ليس إنكارًا للسجع في حقيقة الأمر إذ هما متقابلان أو متلاقيان في معناهما ، فكلمة آخر الآية تسمى رأس آية أو فاصلة ، فإذا توالت الآيات على نمط واحد وقد اشتركت حروف أواخرها سميت فواصل أو أسجاعًا لا غضاضة في أيها إلا أن الفواصل أعم (٣١) .

أما علة عدم تسمية ما في القرآن سجعًا فهي تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم ، وهذا - كما يقول ابن سنان - غرض في التسمية قريب (٣٢) ، يقول التفتازاني : « ولا يقال في القرآن أسجاع رعاية للأدب وتعظيمًا له » (٣٣) .

ومن ثم نؤثر - مع مجموعة من الباحثين وعلى رأسهم عائشة عبد الرحمن (٣٤)- أن نمضي على تسمية مقاطع الآيات في القرآن بالفواصل ، وهو الذي جرى عليه أكثر المفسرين ، وبعد الذي سقناه من خلافهم يكون

من المجدي حسمًا لكل خلاف أن نتدبر الفواصل القرآنية لنرى ما إذا كان البيان الأعلى يتعلق بفاصلة منها بمجرد رعاية شكلية للرونق اللفظي أو أن فواصله تأتي لمقتضيات معنوية مع نسق للإيقاع بهذه الفواصل وائتلاف الجرس لألفاظها التي اقتضتها المعاني على نحو تتقاصر دونه طاقة البلغاء .

تناسب الفواصل ومخالفة الأصول :

التناسب هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر ، والقرآن العظيم كله متناسب لا تنافر فيه (٣٥) ، ومن المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشئ فيها بما يشاكله ، فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض (٣٦) .

وقد أجمع علماء الإعجاز على أن التناسب من أوجه إعجاز القرآن حتى إن ابن الأثير جعل مراعاة نظم الكلام أبلغ وأوكد من الاختصاص (٣٧) .

وذهبوا في تفسير ميل العرب إلى الإيقاع القولي المتوازن إلى أن النفس بطبيعتها تميل إليه وأنه يقع منها موقع الاستحسان (٣٨) .

يقول ابن الأثير : « وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت في النفس موقع الاستحسان وهذا لا مراء فيه ، وهو يرى أن الاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل إليه بالطبع (٣٩) ، وهو مقصد من مقاصد العقلاء (٤٠) .

وإيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدًا ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرًا عظيمًا ولذلك خرج

عن نظم الكلام لأجلها في مواضع (٤١) .

يقول ابن الصائغ في « إحكام الرأي في أحكام الآي » : « اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول » ، قال : « وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكمًا » (٤٢) .

أحدهما : تقديم المعمول إما على العامل كقوله تعالى : ﴿ أ هؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ [سورة سبأ ، الآية : ٤٠] .

أو على معمول آخر أصله التقديم ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ [سورة طه ، الآية : ٢٢] الكبرى مفعول نرى .

أو على الفاعل ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ [سورة القمر، الآية : ٤١] .

١- ومنه تقديم خبر كان على اسمها ﴿ ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ [سورة الإخلاص ، الآية : ٤] .

٢- تقديم ما هو متأخر في الزمان كقوله : ﴿ فللّه الآخرة والأولى ﴾ [سورة النجم ، الآية : ٢٥] ، ولو لا مراعاة الفواصل لتقدمت الأولى كقوله : ﴿ له الحمد في الأولى والآخرة ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٧٠] .

٣- تقديم الفاضل على الأفضل كقوله : ﴿ برب هارون وموسى ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٦٩] .

٤- تقديم الضمير على مـــا يفسره كقوله : ﴿ فأوجس في نفسه خيفةً موسى ﴾ [سورة طه ، الآية : ٦٦] .

٥- تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد كقوله : ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ١٣] .

٦- حذف ياء المنقوص المعرف كقوله : ﴿ الكبير المتعال ﴾ [سورة الرعد ، الآية : ١٠] ، وقوله : ﴿ يوم التناد ﴾ [سورة غافر ، الآية : ٣٢] .

٧- حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو : ﴿ والليل إذا يسر ﴾ [سورة الفجر ، الآية : ٤] .

٨- حذف ياء الإضافة كقوله : ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ [سورة القمر، الآية : ١٦] ، ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ [سورة الرعد ، الآية : ٣٢] .

٩- زيادة حرف المد ﴿ الظنونا ﴾ ﴿ الرسولا ﴾ ﴿ السبيلا ﴾ .

١٠- صرف ما لا ينصرف ﴿ قواريرا - قواريرا ﴾ [سورة الإنسان ، الآيتان : ١٥-١٦] .

١١- إيثار تذكير اسم الجنس كقوله : ﴿ أعجاز نخل منقعر ﴾ [سورة القمر ، الآية : ٢٠] .

١٢- إيثار تأنيثه كقوله : ﴿ أعجاز نخلٍ خاوية ﴾ [الحاقة ، الآية : ٦] .

١٣- الاقتصار على أحد الوجهين اللذين قرئ بهما في السبع في غير ذلك كقوله : ﴿ فأولئك تحرّوا رشدًا ﴾ [سورة الجن ، الآية : ١٤] ولم يجئ ﴿ رشدا ﴾ في السبع .

١٤- إيراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية كقوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٧] .

١٥- إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر : ﴿ فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين ﴾ [سورة العنكبوت ، الآية : ٢] .

١٦- إيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من

الجملة الأخرى كقوله : ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتّقون ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٧٦] .

١٧- إيثار أغرب اللفظتين كقوله : ﴿ قسمة ضيزى ﴾ [سورة النجم ، الآية : ٢٢] ، ﴿ ولينبذن في الحُطمة ﴾ [سورة الهمزة ، الآية : ٤] .

١٨- اختصاص كل من المشتركين بموضع كقوله : ﴿ و ليذّكر أولوا الألباب ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية ٥٤] .

١٩- حذف المفعول كقوله : ﴿ فأما من أعطَى واتّقَى ﴾ [سورة الليل ، الآية : ٥] ، وقوله : ﴿ ما ودّعكَ ربكَ وما قلَى ﴾ [الضحى ، الآية : ٣] .

٢٠- الاستغناء بالإفراد عن التثنية : ﴿ فلا يُخرجنّكما من الجنة فتشقَى ﴾ [سورة طه ، الآية : ١١٤] .

٢١- الاستغناء به عن الجمع كقوله : ﴿ واجعلنا للمتّقين إمامًا ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٧٤] ولم يقل « أئمة » .

٢٢- الاستغناء بالتثنية عن الإفراد كقوله :﴿ولِمن خاف مقامَ ربّه جنّتانِ ﴾ [سورة الرحمن ، الآية : ٤٥] ، قال الفراء : أراد جنة .

٢٣- إطلاق الاثنين على الجمع كقوله : ﴿ ولِمن خاف مقام ربّه جنّتانِ ﴾ أراد جنات فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة .

٢٤- الاستغناء بالجمع عن الإفراد : ﴿ لا بيع فيه ولا خِلال ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية ٣١] أي : ولا خلة .

٢٥- إجراء غير العاقل مجرى العاقل كقوله : ﴿ رأيتهم لي ساجدين ﴾ [سورة يوسف ، الآية ٤] .

٢٦- إمالة ما لا يمال كآي طه والنجم .

٢٧- الإتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم كقوله : ﴿ وما كان ربك نسيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآية ٦٤] .

٢٨- إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض كقوله : ﴿ إن هذا لشيٌ عُجاب ﴾ [سورة صٓ ، الآية : ٤] أوثر على عجيب .

٢٩- الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه كقوله : ﴿ و لَولا كلمةٌ سبقت من ربّك لكانَ لِزامًا وأجلٌ مسمًّى ﴾ [سورة طه ، الآية : ١٢٧] .

٣٠- إيقاع الظاهر موضع المضمر كقوله : ﴿ والذين يُمسّكون بالكتاب و أقاموا الصّلاة إنا لا نُضيع أجر المصلِحينَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية ١٧٠] .

٣١- وقوع مفعول موقع فاعل كقوله : ﴿ حِجابًا مستورًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٤٥] ، أي ساترا .

٣٢- وقوع فاعل موقع مفعول : ﴿ في عِيشةٍ راضيةٍ ﴾ [سورة الحاقة ، الآية : ٢٠] .

٣٣- الفصل بين الموصوف والصفة كقوله : ﴿ أخرج المرعَى فجعله غُثاءً أحوَى ﴾ [سورة الأعلى ، الآيتان : ٤-٥] أحوى حال للمرعى .

٣٤- إيقاع حرف مكان غيره كقوله : ﴿ بِأن ربّكَ أوحَى لها ﴾ [سورة الزلزلة ، الآية : ٥] والأصل « أوحى إليها » .

٣٥- تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ كقوله : ﴿ الرّحمن الرّحيم ﴾ ﴿ رؤوف رّحيم ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١٢٩] .

٣٦- حذف الفاعل ونيابة المفعول كقوله : ﴿ وما لأحدٍ عِنده من نِعمةٍ تُجزَى ﴾ [سورة الليل ، الآية : ١٩] .

٣٧- إثبات هاء السكت : ﴿ ماليه ﴾ ﴿ سلطانيه ﴾ .

٣٨- الجمع بين المجرورات كقوله : ﴿ ثمّ لا تجِد لكَ به علينا تبيعًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٦٩] .

٣٩- العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال كقوله : ﴿ فَفَريقًا كذّبتم وفَريقًا تقتلون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٨٦] والأصل « قتلتم » .

٤٠- تغيير بنية الكلمة كقوله : ﴿ وطُورِ سِينين ﴾ [سورة التين ، الآية : ٢] والأصل « سينا » (٤٢) .

تلك جملة من النماذج التي نُقل عن ابن الصائغ أنه جعلها من باب الخروج عن الأصل لأجل تناسب الفواصل ، ويستفاد منها أنه اقتصر على بعض الأمثلة التي وقعت فيها مخالفة الأحكام والقوانين الصرفية المتعلقة ببنية الكلمة ، والنحوية المتعلقة بالتراكيب ، والدلالية التي لا صلة لها بقواعد النحو .

إلا أن معظم ما ذكر لا يخرج عن المسائل النحوية ، يقول الحسناوي معلقًا على نقول ابن الصائغ : « ونكاد نجزم بانفراد هذه الأحكام بالمسائل النحوية المتعلقة بالفواصل والآيات (٤٤) ، وهذه الأحكام متعلقة إما بالحذف أو بالفصل أو بالتقديم والتأخير .. [يتبع]

الهـــوامش :

(١) انظر : مثلاً : النكت ، الرماني : ص/٧٥ .
(٢) نهاية الإيجاز : ص/٨٢ ، وبيان إعجاز القرآن ، الخطابي : ص/٢٤ .
(٣) التبيان : ص/١٩٥ . (٤) بيان إعجاز القرآن ، الخطابي : ص/٢٧ ، و انظر : بديع القرآن لابن أبي الأصبع : ص/١٦٤ . (٥) نهاية الإعجاز : ص/٨٢ .
(٦) المثل السائر : ١/٢١٢ . (٧) الطبيعة والتمثال : ص/٢٥٦ .
(٨) النحو والشعر ، مصطفى ناصف : ص/٣٦ . (٩) البرهان : ١/٥٧ .
(١٠) المصدر السابق : ١/٦٠ . (١١) البحر المحيط : ٢/٢٤٢ ، والتناسب في

القرآن الكريم ، أحمد أبو زيد : ص/٦٥٠-٦٥١ .

(١٢) نتائج الفكر : ص/٢٦٦ ، وبدائع الفوائد : ١/٦١ .

(١٣) البرهان ، الزركشي : ١/٥٣ . (١٤) النكت : ص/٩٧ .

(١٥) إعجاز القرآن : ص/٢٧٠ ، وانظر : معجم المصطلحات البلاغية : ص/١٢ ، والفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي : ص/٢٦. (١٦)مفتاح السعادة : ١/١٨٧.

(١٧) التناسب في النظم القرآني : أحمد أبو زيد : ص/٦٢٥ .

(١٨) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن ، فتحي عامر : ص/٢١٥ .

(١٩) الإتقان : ٢/٢٩٠ . (٢٠) البرهان : ١/٥٣ .

(٢١) الإشارات والتنبيهات : ص/٢٩٨ . (٢٢) مفتاح العلوم : ص/٤٢١ .

(٢٣) البرهان : ١/٥٥ . (٢٤) النكت ، الرماني : ص/٩٧ ، وانظر : أسرار البلاغة ، الجرجاني : ص/١٠-١٤ .

(٢٥) البرهان ، الزركشي : ١/٥٤ ، وانظر : فكرة النظم : ص/٢٠١ ، ونصوص النظرية البلاغية : ص/١٣٥ .

(٢٦) قانون البلاغة : ص/٣٠ ، وانظر : التبيان ، الزملكاني : ص/١٧٨ .

(٢٧) سر الفصاحة : ص/١٦٥ ، وما بعدها ، وانظر : إعجاز القرآن ، الباقلاني : ص/٩٠ . (٢٨) المثل السائر : ١/٢٧٣ .

(٢٩) الطراز : ٢/٢٠ . (٣٠) الفوائد المشوق : ص/٨٤ .

(٣١) فكرة النظم : ص/٢١٦ . ومقتضى الحال في القرآن الكريم ، الطلحاوي : ص/٤٢٩ . (٣٢) سر الفصاحة : ص/١٦٥ .

(٣٣) مختصر التفتازاني : ٤/٤٤٥ ، عروس الأفراح : ٤/٤٤٥ .

(٣٤) الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق ، عائشة عبد الرحمن : ص/٢٣٥-٢٣٦ . (٣٥) الفوائد المشوق : ص/٨٧ ، وجوهر الكنز : ص/٢٩٧ .

(٣٦) البرهان : ١/٧٨ . (٣٧) المثل السائر : ٢/٢٨ .

(٣٨) الأسس النفسية لأساليب البلاغة : ص/٦٢ .

(٣٩) المثل السائر : ١/٢٧٥ ، والإتقان : ٢/٢٩٥ .

(٤٠) الطراز : ٢/٢١ . (٤١) البرهان : ١/٦٠ . (٤٢) الإتقان : ٢/٢٩٦ .

(٤٣) انظر : الإتقان : ٢/٢٩٦ ، وما بعدها ، ومعترك الأقران : ١/٣٢ ، ومفتاح السعادة : ٢/٤٧٠ . (٤٤) الفاصلة في القرآن : ص/٥٧ .

أكثر الله حسّادك

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

مثل عربي قديم ، يعبر عن مكانة الإنسان مع كثرة حاسديه ، لأنه إما أن يكون إنسانًا ناجحًا وموفقًا في أعماله ، أو ذا مركز يكسب به المحامد والذكر الحسن ، حيث يعين من يستحق العون ، أو أنه متميز بخصال عديدة ، لا تطيق بعض النفوس السمو إلى مرتبتها ، أو لأنه يؤشّر إليه بالبنان ، ويذكر باللسان ، ولكن الغيورين لا يستطيعون مجاراته في ميدانه : بذلاً وجاهًا ، ومكانة ومساعدة للآخرين ، وبسطًا بالوجه ، وغير ذلك ، فلا يجدون ما ينافسونه فيه إلا التنقيص من قدره ، ومحاولة الإضرار بمكانته : حسدًا وكراهية ، مع تصوير أموره الحسنة قبائح ، و أعماله الفريدة نقائص .

والحسد داء بليت به البشرية منذ خلق الله آدم ، فكان أول ذنب عصي الله به على وجه الأرض ، عند ما عصا إبليس ربه ، وامتنع عن السجود لآدم ، تكبرًا على الله ، وحسدًا للمكانة التي أحلّها الله لآدم ، ولله الحكمة البالغة ، كما أن أول دم سفك على الأرض ، كان بسبب الحسد ، إذ غضب أحد ابني آدم على أخيه الذي تقبل الله صدقته ، ولم تقبل صدقته هو ، عند ما قرّبا قربانًا ، فكان قربان أخيه طيبًا والله لا يقبل إلا ما كان طيبًا ، أما هو فقربانه كان رديئًا ، وكانت شريعة من قبلنا ، أن القرابين توضع

في مكان فينزل الله عليها نارًا من السماء فتأكل المقبول ، وهذا علامة المقبول والمرضي عند الله ، وتترك الردئ ولا تمسه ، ليدرك من حوله أنه غير مقبول .. ولذا ساق الحسد ابن آدم فقتل أخاه ، فأصبح من الخاسرين ، كما حكى الله قصتهما في سورة المائدة ، وقد كتبت في أحد مقالاتي عن الحسد ، فاعترض شخص كريم على هذه العبارة من كلامي : « وقديمًا كان الحسد ، وأمزجة البشر تتباين ، ونظرتهم للأمور تختلف بحسب العوامل والهواجس النفسية » فكان اعتراض هذا الأخ ، حسب عبارته : وقد استغربت كثيرًا لهذا الكلام ، ولا شك أن معظم قراء هذا الكلام وقفوا عنده ، إذ لم نسمع أحدًا ، وصف عصر الآباء بأن الحسد فيه كثير ، بل ما نسمعه على العكس من ذلك تمامًا ، إلى آخر ما جاء في كلامه .. ويبدو أن هذا الأخ الذي لا أريد الإفصاح عن اسمه : متفائل ، أو أنه متسامح ، فأولاً لم يأت في عبارتي أن الحسد كثير ، وإنما قلت إنه قديم ، ثانيًا : له أن يستغرب على قدر فهمه ، لكن كيف يحكم على معظم القراء ، وغاب عنه أن الحسد أنواع عديدة : فالعين المنتشرة في أنحاء المعمورة ، ويتقيها غير المسلمين بحسب معتقداتهم وخرافاتهم ، ويصيب كثيرًا من الناس : كبارًا وصغارًا ، ذكورًا و إناثًا ، حيوانات وجمادات ، هي من الحسد ، بل أثرها من أنكى أنواع الحسد ، حيث تتوق نفس العائن إلى ما يتمتع به المعيون ، فينبعث منها شعور ، قد لا يدركه العائن نفسه ، ينصب على المعيون ، فيصيبه بآفة أو عجز .

وقد أبان الله في قصة يعقوب - عليه السلام - شيئًا من ذلك ، عند ما أوصى أبناءه الذين بان عددهم في سورة يوسف : بأن لا يدخلوا مصر من

باب واحد ، بل من أبواب متفرقة ، ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ، جاء توضيح كريم ، يحمل دلالة عظيمة ، فقال سبحانه : ﴿ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شئ ٠ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ، وإنه لذو علم لما علمناه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [سورة يوسف ، الآية : ٦٨] .

قال ابن جرير وابن أبي شيبة وغيرهما من المحدثين والمفسرين : خشي يعقوب على ولده العين ، وهذا من علمه ، فكان عاملاً بعلمه .

وفي تفسير قوله سبحانه في سورة القلم : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾ قال السيوطي في تفسيره ، قال ابن عباس : ينفذونك بأبصارهم من شدة النظر إليك ، ثم قال : أخرج البخاري عن ابن عباس ، أن رسول الله -ﷺ- قال : « العين حق » وأخرج أبو نعيم في الحلية عن جابر أن النبي -ﷺ- قال : « العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر » و أخرج البزار عن جابر أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال : « أكثر من يموت من أمتى بعد قضاء الله وقدره بالعين » [الدر المنثور : ٢٦٢/٨] .

والغيبة والنميمة والبهتان ، وهذه من الآفات المنتشرة في كل مجتمع ، مبعثها الحسد ، وهي من الكبائر التي دلّل الذهبي عليها في كتابه الكبائر ، وهي تبث الشحناء في المجتمعات ، وتورث الحزازات والفرقة ، وما أكثر أثرها في كل مجتمع ، وتزداد في المجتمعات الصغيرة ، حيث الفراغ وقلة المشاغل ، فتوجد ثغرات ينفذ منها عدو الله الشيطان بأعوانه .. ولذا سميت هذه الأعمال بالحالقة ، وليست حالقة الشعر

ولكنها تحلق الحسنات ، وصفوة الخلق -ﷺ- حُسِد وأوذي ، مع أن زمانه خير القرون ، حيث قال -ﷺ- : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وقد يكون مثل هذا من رحمة الله بالأمة ، حيث يعلمون في كل عصر ومصر ، أن ما يصيبهم من حسد فيما بينهم ، وما ينجم عن ذلك من ضرر بالنفس أو المال أو الولد ، أو حتى جلاء عن البلاد بسبب الاقتتال والشحناء ، إنما هو جزء يسير مما أصاب صفوة الخلق ، وأنبياء الله من قبله ، وما حصل للصحابة وهم خير القرون ، حيث أنزل الله -جل وعلا- قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة ، فيه حصانة للنفس البشرية المتمسكة به ، ودرع يحمى به الله من الشرور وآثار الحسد ، كما أخبر بذلك رسول الله -ﷺ- في هديه لأمته .

إذ قراءة آية الكرسي والمعوذات الثلاث : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، دبر كل صلاة من الفرائض : الظهر والعصر ، والعشاء ، وفي المغرب والفجر تقرأ هذه السور الثلاث : ثلاث مرات ، حصنًا يحفظ الله به النفس البشرية من الحاسدين بأعمالهم العديدة وفي عهد رسول الله -ﷺ- حُسِد الصحابي : سهل بن حنيف ، عند ما رآه رجل من الصحابة وهو يستحم فأعجبه بياض جلده ، فحسده على ذلك وقال ما رأيت اليوم ولا جلد مخبأة .. يعني أنه أحسن من المرأة لجماله ، فلبط سهل ، أي أصابته العين فمرض ، فلما أخبر النبي -ﷺ- بذلك ، بان الغضب في وجهه وقال : ما بال أحدكم يقتل أخاه ، هلا برّكت - أي قلت : ما شاء الله تبارك الله - ثم أمر الرجل العائن واسمه عامر بن ربيعة وهو من الأنصار كما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : أن يغسل داخلة

إزاره ليستحم به سهل ، فلما فعل ذلك ، قام سهل كأنما نشط من عقال .

وقد جاء ذكر الحسد في القرآن والسنة كثيرًا ، مما يبرهن على أن عصور هذه الأمة ، النقية بصفاء إيمانها ، ومكانة أبنائها بالفهم والتطبيق ، لم تخل من الحسد ، فكيف بالعصور التي تلتهم ، بل إن رسول الله -ﷺ- أخبر أن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب ، ولكن بالتحريش والحسد ، إذ من المهمات التي أخذها عدو الله على نفسه ، بأن يغوي أمة محمد -ﷺ- وغيرها ، أعاذنا الله وإياكم من شرّه ومكائده ، ومن همزاته ولمزاته ، فقال مخاطبًا ربه : ﴿ ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ١٧] .

فكم نفس أزهقت ظلماً نتيجة الحسد ، وكم ممتلكات أعتدي عليها بالحسد ، وكم مكيدة عملت : صغيرة كانت أو كبيرة من جراء الحسد ، وكم أواصر تقطعت ، وأسر تفككت ، ورحم انفصل ما توثق منه بالحسد ، يقول الشاعر :

و ظلم ذوى القـــــربى أشد مضاضة
علـــــى المرء من وقع الحسام المهند

وإن من يقرأ بتمعّن كتب التاريخ التالية في حلقات من تاريخ نجد قبل الحكم السعودي ، وهو ما حكى عنه الأخ الكريم المعترض ، مثل : تاريخ الفاخري ، وتاريخ المنقور ، وتاريخ ابن لعبون ، وتاريخ ابن بشر ، وتاريخ ابن ربيعة العوسجي ، وتاريخ ابن غنام ، وغيرها ليدرك آثار الحسد فيما بينهم والاعتداء على الممتلكات والأنفس .

فالحسد شر مستطير ، لا يطرده إلا قوة الإيمان بالله ، وحسن التوكل عليه ، ومغالبة النفس بكثرة ذكر الله ، والرضا بما قسم ، والصبر واحتساب ما يجني الإنسان من الآخرين من ضرر عند الله ، رجاء ثوابه ، وهذا لا يقوى عليه إلا من جاهد نفسه ، وجاهد من حوله ، حتى لا يضرّونه بتخطي الحواجز التي رسمها دين الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وما يلقّاها إلا الذين صبروا • وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٣٥] .

وما أكثر ما جاء في أشعار العرب ، وأمثالهم ، من حكم وعظات عن الحسد ، حتى إنه قد ألف فيه كتب عديدة ، يقول عمر بن أبي ربيعة ضمن قصيدة غزلية :

حسد حملنه من أجلهـــــا وقديمًا كان في الناس الحسد

والإنسان كلما ضعف الوازع الديني لديه ، وكلما أسلم لنفسه زمامها في الهوى والأثرة ، كلما اتسعت دائرة الحسد ، وتشعبت طرقه المسلوكة ، حيث تتعدد المسارب التي ينفذ منها الحسّاد ، إمعانًا في المكايدة والإضرار بالآخرين ، وكراهية لما حباهم الله من فضل ونعمة ، أ لم يقل سبحانه عن أهل مكة ، وعن يهود المدنية الذين حسدوا رسول الله على الرسالة : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله • فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة • و آتيناهم ملكًا عظيمًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٥٤] ، ويقول تعالى : ﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا • حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٠٩] .

وقد عبر عن حقيقة الحسد ابن مسكوية في كتابه : الهوامل والشوامل ، وأخبر أنه انفعال رديء ، فقال : إن الحسد همّ وغمّ يلحق الإنسان ، بسبب خير نال مستحقه ، ثم يتبع هذا الانفعال الرديء أفعال آخر رديئة ، فمنها أن يتمنى زوال هذا الخير عن المستحق ، ويتبع هذا التمنى أن يسعى فيه بضروب الفساد ، فيتأدّى إلى شرور كثيرة .

٢٢٦٩ جزائر ١١١٨٩٩

فمن عرض له عارض الحسد ، الذي حدّدناه فهو شرير ، والشرير لا يكون فاضلاً ، ولكن لما كان هذا الغمّ قد يعرض للإنسان على وجوه أخر غير مذمومة ، غلط فيه الناس فسموه باسم الحسد ، ومثال ذلك أن الفاضل قد يغتمّ بالخير إذا ناله غير مستحقه ، لأنه يؤثر أن تقع الأشياء مواقعها ، ولأن الخير إذا حصل عند الشرير استعمله في الشر ، إن كان مما يستعمل ، أو لم ينتفع به بتّة .

وربما اغتم الفاضل لنفسه إذا لم يصب من الخير ما أصابه غيره ، إذا كان مستحقًا مثله ، وإنما لم أسمّ هذا حسدًا لأنه غمّه ، لم يكن بالخير الذي أصاب غيره ، بل لأنه حُرم مثله ، وإذا آثر لنفسه ما يجده لغيره ، لم يكن قبيحًا ، بل يجب لكل أحدٍ إذا رأى خيرًا عند غيره ، أن يتمناه أيضًا لنفسه ، لأن هذا الغمّ لا يتبعه أن يتمنى زوال الخير عن مستحقه ، وقد فرقت العرب بين هذين ، فسموا أحدهما حسادًا ، والآخر غابطا [٧١-٧٢] .

أما الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين فقد رأى أن حقيقة الحسد : شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل ، وهو غير المنافسة ، وربما غلط قوم فظنوا أن المنافسة في الخيرات هي الحسد ، وليس الأمر

كذلك ، لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل ، من غير إدخال ضرر عليهم ، والحسد مصروف إلى الضرر ، لأنه غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم ، من غير أن يصير الفضل له ، فهذا الفرق بين المنافسة والحسد .. فالمنافسة إذن فضيلة ، لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل ، والاقتداء بأخيار الأفاضل ، واعلم أن دواعي الحسد ثلاثة : أحدها : بغض المحسود ، فيأسى عليه بفضيلة تظهر ، أو منقبة تشكر ، والثاني : أن يظهر من المحسود فضل يعجز الحاسد عنه ، فيكره تقدمه فيه ، واختصاصه به ، والثالث : أن يكون في الحاسد شحّ بالفضائل ، وبخل بالنعم ، وليس إليه ، فيمنع منها ، ولا بيده فيدفع عنها ، لأنها مواهب قد منحها الله من شاء ، فيسخط على الله -عزوجل- في قضائه ، ويحسد على ما منح من عطائه ..

وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها ، إذ ليس لصاحبه راحة ، ولا لرضاه غاية [٢٢٢-٢٢٣] والغزالي في كتابه إحياء علوم الدين والدنيا يرى أن الحسد لا يكون إلا على نعمة ، فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان : إحداهما : أن تكره تلك النعمة ، وتحب زوالها ، وهذه الحالة تسمى حسدًا ، فالحسد حدّه كراهة النعمة ، وحب زوالها عن المنعم عليه ، الحالة الثانية : أن لا تحب زوالها ، ولا تكره وجودها ودوامها ، ولكن تشتهي لنفسك مثلها ، وهذه تسمى غبطة ، وقد تختص باسم المنافسة حسدًا ، والحسد منافسة ، ويوضع أحد اللفظين ، موضع الآخر ، ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني [٢/١٢٠] .

وقد فرّق العلماء بين الحسد والغبطة ، أخذًا من دلالة الحديث الشريف : « المؤمن يغبط والمنافق يحسد » ، فقالوا : إن الحسد لا يكون مع قوة

الإيمان ، لأن رسول الله -ﷺ- ، وصف المنافق بالحاسد ، وأن ما يحصل من المؤمن ما هو إلا غبطة مستدلين بقوله -ﷺ- : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً ، فجعله في حق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها » ، قيل : إن المراد بأنه يغبط أخاه حتى يكون مثله ، أما تمني زوال النعمة عن الآخرين ، والتشفّي بالإضرار بهم ، فهذا هو عين الحسد المذموم ، نسأل الله السلامة والعافية منه..وهو الذي يعنيه الشاعر بقوله :

اصبر على مضض الحسود ... فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

وقد لا يكثر الحسد إلا من المعارف والأقارب كما قيل في المثل العامي عندنا : الطعمة ما تجى إلا من القريب .

حارس مال ابن الخشرم :

جاء في كتاب المحاسن والأضداد للتوحيدي ، إن نجيح اليربوعي خرج يومًا إلى الصيد ، فعرض له حمار وحشي فاتبعه ، حتى دفع إلى أكمة ، فإذا هو برجل أعمى أسود ، قاعد في ملابس بالية ، بين يديه ذهب وفضة ، و در و ياقوت ، فدنا منه نجيح ، فتناول منها بعضها ، فلم يستطع أن يحرك يده حتى ألقاها ، فقال : يا هذا ما الذي بين يديك ؟ وكيف تستطيع حمله ؟ أ لك هو أم لغيرك ؟ فإني أعجب مما أرى ، أجواد أنت فتجود لنا ، أم بخيل فأعذرك ؟ فقال الأعمى : كيف تطلب مال رجل قد غاب منذ سنتين ، وهو سعد بن خشرم ، فأتني بسعد يعطك ما تشاء ، فانطلق نجيح مسرعًا ، قد استطير فؤاده ، حتى وصل إلى محلته ، و دخل خباءه ، فوضع رأسه و نام لما به من الغم ، لا يدري

من سعد .

فأتاه في منامه آت فقال له : يا نجيح ، إن سعد بن خشرم في حي محلّم من ولد ذهل بن شيبان ، فخرج وسأل عن بني محلّم ، ثم سأل عن خشرم ، فإذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحيّاه نجيح فرد عليه ، فقال له نجيح : من أنت ؟ ، قال : خشرم بن شمّاس ، قال : وأين ابنك ؟ قال : خرج في طلب نجيح اليربوعي ، وذلك أن آتيًا أتاه في منامه ، فحدثه أن مالاً له في نواحي بني يربوع لا يعلم به إلا نجيح ، فضرب نجيح بطن فرسه وهو يقول :

أ يطلبني من قد عنانـــــي طلابه

فيا ليتني ألقاك سعـــد بن خشرم

أتيت بني يربوع تبغى لقاءنـــا

وقد جئت - كي ألقاك - حيّ محلّم

فلما دنا من محلته استقبل سعدًا ، فقال له : أيها الراكب ، هل لقيت سعدًا في بني يربوع ؟ فقال : أنا سعد فهل تدلني على نجيح ؟ قال : أنا نجيح ، وحدثه بالحديث ، ثم قال : الدال على الخير كفاعله .

فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان ، فتوارى الرجل الأعمى حين أبصرهما وترك المـــال ، فأخذه سعد كله ، فقال له نجيح : يا سعد قاسمني ، فقال له : أطوعن مالي كشحًا ، وأبي أن يعطيه شيئًا فانتضى نجيح سيفه ، وجعل يضربه حتى برد ، فلما وقع قتيلاً تحول الرجل الحافظ للمال سعلاةً ، وأعاد المال إلى مكانه ، فلما رأى نجيح ذلك ، ولّى هاربًا إلى قومه [ص/٦٩] .

نحو استراتيجية جديدة للعمل الإسلامي

سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

لقد تم استيلاء الغرب المسيحي الاستعماري الغاشم على البلدان النامية جمعاء وذلك بسلاحية الاقتصادي و الدبلوماسي اللذين استخدمهما الغرب في القرن الحالي في عدد من البلدان المتخلفة تعليميًا واقتصاديًا وسياسيًا . ولقد استخدم الغرب في استعمال هذين السلاحين الشطارة والخداع فكان من نتيجة ذلك أن تساقط بلد بعد بلد في حجر الدول الكبرى . طلبًا لدعمها المالي وحمايتها السياسية .

وشطارة الغرب وخداعه في هذا المجال هو إثارة شعور البلدان المتخلفة وإيجاد الرغبة فيها لطلب القروض منها لتقوية الحياة المدنية والعسكرية فيها . أما تقوية الحياة المدنية فلإزالة وصمة العار الذي يلحقها بكلمة التخلف . أما تقوية الحياة العسكرية فلأنها تشعر بأنها محاطة بجارات تجرى بينها وبين هذه الجارات حرب لا هوادة فيها للمنافسة في المال والسلطان .

وقد نجح الغرب في ذلك بحيث إن القوى الكبرى منه قد ساعدت الشعوب الشرقية وغطتها بالقروض وأصبحت هذه القروض بأيدي البلدان الكبرى كلجام في يد صاحب الفرس يتصرف بها في شأن تحريك الفرس وتوجيهه . لقد كانت سياسة الغرب هذه بدون صخب أو ضوضاء حتى لا تفطن الشعوب الشرقية للمكر الذي يكمن في هذه الدبلوماسية . و استعملت القوى الاستعمارية هذه السياسة عند ما رأت أن اليقظة التي بدأت في الشعوب الشرقية لن تسمح لقوى

الغرب باستبقاء استعمارها المباشر في هذه البلدان لسبب انتشار المكر والمقت والرفض والكره للاستعمار في شعوب الشرق . واستخدمت القوى الغربية طرقًا ناجحة لتطويق البلدان الشرقية كلها بسلاحها الاقتصادي ومساعداتها العسكرية . فالبلدان التي كانت فقيرة أدانتها القوى الغربية بعنوان المساعدات . ولكن بشروط باهظة وأما الشعوب الشرقية التي كانت قد أصبحت غنية لوجود الذهب الأسود أو الأحمر في أراضيها . فأوقعتها القوى الغربية في حرب الأشقاء وشجعت كل طرف من الطرفين معنويًا أو بمساعدات الأسلحة حتى ينقض كل طرف منها عرى الطرف الآخر وليخرج الطرفان بعد نهاية الحرب مكدودين منهوكين مفلسين فيصيرا هما الآخران مديونين للغرب ومحتاجين إليه بصورة أكبر .

فلا نرى اليوم في العالم كله بقيت حكومة عليا إلا واحدة وهي أمريكا . ومن المؤسف جدًا أن أمريكا هذه بدأت الآن تتدخل في الشئون الدينية لكل الشعوب الإسلامية كذلك . فتغرى حكام البلدان الإسلامية بمطاردة المعتصمين بدينهم والمتمسكين بالمحافظة والسيرة الإسلامية . فالبلدان التي كانت تعد حمى للإسلام كان يهرب إليها كل من كان يضطهد ويطارد في بلاد الكفر من الإسلاميين . أصبحت تختار الجفاء لهم فأين يهرب رجل يريد التمسك بحياته الدينية والمحافظة على السيرة الإسلامية . لأن أمريكا توجد في كل بلد مستولية على سياسته و اقتصاده . و هي لا تـريد اليقظة الإسلامية في أي مكان و تسمى كل يقظة إسلامية بالأصولية والإرهاب وتسد باسم الأصولية والإرهاب هذا الطريق في وجه كل من يريد دعما لحياة المسلمين الإسلامية . فماذا يكون من الحكمة و الاستراتيجية المفيدة للمسلمين في هذه الحالة القاسية المقلقة .

إني لا أرى في الوضع الحالي هذا فائدة في الاصطدام العشوائي مع القوى الأقوى وطاقات أشد وأوفر. لأن الاصطدام واستخدام القوة قد يكون نافعا إذا كان بين جيشين نظاميين أو طاقتين متعادلتين إلى حد ما . أما أن تكون في جانب أفراد موفورون بالقوة والتأثير ويكون في جانب آخر أفراد مشتتون . و مستندون إلى قوة بسيطة فلا يلقون و هم الأفراد إلا الخسائر المتواصلة وهذا هو الذي بدأنا نراه في العالمين العربي والإسلامي كليهما . وهو لا يزيد نفوسنا إلا الأسى والحزن . نشعر بهما على مصاب المظلومين المضطهدين من أصحاب العاطفة الدينية والشعور الإسلامي النبيل من المسلمين والمقت والغضب على هؤلآء الظالمين الذين يقومون بالاعتداء السافر والاضطهاد البغيض طلبًا لرضا الآخرين والأجانب بدون مراعاة لكرامة الإنسان ورعاية الاشقاء والاخوان .

إنه يجب في مثل هذه الحالة أن ينظر العاملون للإسلام في استراتيجيتهم . ماذا يحسن أن يوخذ منها وما يجدر بأن يرفض . فإن لكل حالة استراتيجية . ولكل ظرف منهجًا للعمل . وإن الظروف الحالية تقتضى أن يبنى العاملون للإسلام استراتيجية جديدة لأن أعداء الإسلام أصبحوا في طبقات . طبقة فوق طبقة لا طبقة واحدة . اما الطبقة الدنيا منهم فهم المستغرقون البعيدون عن الدين ممن لا يعرفون عن الإسلام شيئًا ولا يحملون له حماسًا ولا يملكون له في قلوبهم حبًا ولا عطفًا وهم مالكون للزمام للثقة التي ينالونها من القوى المتصرفة العليا . فهم لا يريدون جوًا إسلاميًا في البلاد على كل حال ويخدعون الجماهير بنسبتهم إلى الأمة الإسلامية . ثم تأتي طبقة أعلى منها وهي طبقة الخبراء و المستشارين جاءوا أو

استوردوا من الخارج و فوقها طبقة استعمارية عليا من القوى الكبرى .

فإن الظروف الحالية في العالمين العربي والإسلامي تقتضى اختيار استراتيجية جديدة أجدى . و أراها في الأوضاع الحالية اختيار سبل مختلفة لتصحيح فهم الطبقة المثقفة الثقافة الجديدة فهي التي قد أسيئ فهمها عن طريق مناهج التربية والتعليم الحديثة التي يهيمن عليها منذ أكثر من قرن التصور الغربي للحياة . الخالي من الإيمان بجدارة الدين لمسايرة الحياة . كما أسيئ فهمها مع فهم الجماهير المسلمة الغافلة عن طريق الإعلام الذي تطور في أيدي الغربيين تطورًا هائلاً .

حتى بدأ يؤدى واجب المدرس في المدرسة و واجب الوالد والوالدة في المنزل وحق الزميل لزميله والرفيق في السفر وغيره و ذلك بوسائل الصحافة اليومية و الأسبوعية وبالإذاعة السمعية و البصرية حتى الكاستات السمعية والبصرية أيضًا التي لا تقف على حدود جدران البيوت و لا على حواجز الغرف والمخادع .

فإن هذه الوسائل قد أثرت على أذهان الناس وتصوراتهم عن الدين والحياة بحيث كادت أن تقصيها عن الإيمان بضرورة الدين و حتميته للحياة وعن الإيمان بالآخرة و بصلاحية الدين الإسلامي لمواكبة الحياة . أصبح المؤمنون بقيم الإسلام ومثله بذلك طبقة صغيرة و محصورة من الناس لا يؤثر صوتها ولا يؤثر على النفوس إلا في حدود ضيقه .

فإنه لابد من معالجة الأمر باستخدام الأدب و وسائل التربية والإعلام بأكثر ما كان يتيسر وأقوى ما يمكن . ليزداد حجم طبقة

المؤمنين بجدارة الإسلام للحياة . ولا عجب في أن تتأثر بذلك أذهان عدد من المتصرفين لشئون البلاد فتتأثر سياستهم وفكرهم وتضعف معارضتهم للاتجاه الإسلامي .

لا شك أن الدعاة المسلمين المخلصين أصبحوا يستخدمون الصحافة بحجم غير صغير ولكنها محدودة في الاطار الإسلامي البحت . إنه لابد من التوغل في مجال الصحافة السائدة العالمية و القطرية معًا . بإدخال صحفيين إسلاميين فيها حتى يبرز هناك أيضًا صوت إسلامي كما لابد من التوغل في أوساط الأدب المتحكمة في الاتجاهات الأدبية والحوار مع الأدباء العلمانيين واقناعهم بصلاحية الإسلام لمواكبة الحياة الجديدة كما لابد من الاتصال بالطبقة الحاكمة على الصعيد الشخصي والتأثير على أفرادها و كسب استجابتهم للاتجاه الإسلامي الرشيد .

وكيف لا ننجح في هذا وقد نجحت بمثل هذا المنهج الجالية اليهودية في أمريكا حتى وصل أفرادها بشكل خبراء واخصائيين إلى المراكز الحساسة في البلاد وأحاطوا بالمركز العالمي للحكم . فهم يؤثرون على سياسية البلاد إلى أنهم يخضعونها لمصالح أمتهم و دينهم في الخارج فضلاً عن الداخل ولم تكن ذريعتهم في ذلك هو المكر والدهاء بل العمل المضني والتوغل في الطبقات المالكة لأزمة البلاد من صحافة واقتصاد و سياسة كذلك وبجهد مضن .

إن الظروف الحالية في العالمين العربي والإسلامي ظروف حالكة وأكبر سبب في ذلك هي غفلة أكثرنا في اختيار الطرق العملية الجادة التي تحتاج إلى الجهد الصامت لا الكلام والاحتجاجات والمناقشات العنادية وحدها .

الصيام و ذكريات الجهاد في الإسلام

بقلم : الأستاذ صلاح أحمد الطنّوبي

قال الله -عزوجل- : ﴿ شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدًى للنّاس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان،فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفرٍ فعدّةٌ من أيام أخر،يريد الله بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسر ولتكملوا العدة ولِتُكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٨٥] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله -ﷺ- قال : « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » [متفق عليه] .

الحمد لله الذي شرع الجهاد لنصرة الحق ودفع العدوان وحماية وإعلاء كلمة الله -عزوجل- ، ورفع درجة المجاهدين على القاعدين وأعلى مراتبهم ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله إمام المجاهدين ، الذي جاهد في الله حق جهاده وعلى آله وصحبه الذين باعوا أنفسهم وأرواحهم لله ، وبذلوا أموالهم رخيصة في سبيل الله -عزوجل-، فتمّ لهم النصر الذي أراده الله تعالى وكانوا من الفائزين .

قال الله -عزوجل- : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة،يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن،ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به،وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١١١] .

ولقد كان رسول الله -ﷺ- في الذروة العليا والمنزلة العظمى من الجهاد ، فهو إمام المجاهدين الصادقين المخلصين ، نال جميع مراتب

الجهاد ، فجاهد في الله حق جهاده ، بقلبه ولسانه ، بدعوته وبيانه ، بسيفه وسنانه .

إن القائد هو روح جنوده ، وإن الرائد هو مصباح أتباعه ، ولقد كان رسول الله -ﷺ- خير قائد ، وأصدق رائد ، فلنتخذ منه في الجهاد قدوةً وإمامًا .

قال الله جلّ ثناؤه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٢١].

ولشهر رمضان منزلة عالية ينفرد بها دون سواه من بين عامة الشهور ، وكأن الأمة الإسلامية على موعدٍ مع ذكريات الجهاد والنصر .. ففي هذا الشهر الفضيل حدثت أكبر المعارك الإسلامية .. وظهرت الأخلاق الإيمانية والأمجاد الإسلامية في شهر رمضان .

غزوة بدر الكبرى في رمضان السنة الثانية من الهجرة :

إن هذه الغزوة التي سماها القرآن الكريم يوم الفرقان ، كانت بتدبير من الله -عزوجل- ، إذا التقى الجمعان ، جمع المؤمنين وجمع المشركين في وقتٍ واحدٍ ومكان واحد هو ماء بدر على بعد مائة ك.م من المدينة المنورة على طريق مكة المكرمة .

قال رب العزة والجلال : ﴿ إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٤٢] .

والعدوة الدنيا : جانب الوادي من جهة المدينة .

والعدوة القصوى : جانب الوادي من جهة مكة .

ومن نعم الله -عزوجل- على المؤمنين في يوم الفرقان قوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدّكم بألف من الملائكة مُردفين،

وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ، إذ يغشيكم النُّعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويُذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ، إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنانٍ ، ذلك بأنهم شآقّوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب » [سورة الأنفال ، الآيات : ٩-١٢] .

ولقد كان لانتصار المسلمين في يوم بدر ثمارٌ كثيرٌ وفوائد جمّة ومتنوعة ، فالمسلمون في المدينة قد قويت شوكتهم ، وطارت سمعتهم ، وهابهم أعداؤهم .. والمسلمون في مكة فرحوا فرحًا شديدًا بانتصار المسلمين .

أما بالنسبة للمشركين في المدينة وما حولها ، فلقد كان لهذا الانتصار أثر في نشر الدعوة الإسلامية بين صفوفهم ، فدخل كثير من أهل المدينة في الإسلام ..

قال الله -عزوجل- : « ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلة فاتّقوا الله لعلكم تشكرون » [سورة آل عمران ، الآية : ١٢٣] .

فتح مكة المكرمة في رمضان العام الثامن من الهجرة :

في اليوم العشرين من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، كان فتح مكة المكرمة ، الذي عزّ به الإسلام وارتفعت كلمة الإيمان .

قال الله -جلّ جلاله- : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا • فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توّابًا» [سورة النصر] .

وبفتح مكة المكرمة تحقق الوعد الرباني للرسول -ﷺ- حين أنزل

عليه بـ الجحفة ، وهو مهاجرٌ قوله تعالى : « إن الذي فرض عليك القرآن لرآدّك إلى معادٍ » [سورة القصص ، الآية : ٨٠] .

دخل الرسول -ﷺ- مكة المكرمة وهو يتلو قوله -عزوجل- : « وقل جـــاء الحق و زهق الباطل • إن الباطل كان زهوقًا » [سورة الإسراء ، الآية : ٨١] .

طهر الرسول -ﷺ- الكعبة من دنس الوثنية والشرك .. و وقف الرسول -ﷺ- على باب الكعبة ، وقال : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وقرأ قول الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا • إن أكرمكم عنـــد الله أتقاكم » [سورة الحجرات ، الآية : ١٣] .

ثم قال : يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرًا .. أخ كريم وابن أخ كريم .. فقال الرسول -ﷺ- : اذهبوا فأنتم الطلقاء كافأهم الرسول -ﷺ- بالصفح والعفو ..

لقد خاطبه رب العزة والجلال بقوله : « وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين » [سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧] .

وقال -جل ثناؤه- : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » [سورة التوبة ، الآية : ١٢٨].

طارق بن زياد وفتح بلاد الأندلس في شهر رمضان سنة ٩٢هـ :

وقعت معركة وادي (لكة) بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد ، وبين القوط بقيادة لذريق .. وكان ذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان في السنة الثانية والتسعين من الهجرة .. وعلى ضفاف نهر جوادي في أسبانيا التقى طارق بن زياد والمسلمون مع لذريق والكفار وكان النصر حليف

المسلمين بقيادة طارق بن زياد .. وفرار لذريق والكفار وغرقهم في مياه النهر .. وتمّ بحمد الله تعالى فتح قرطبة وغرناطة وطليطلة وأصبحت الأندلس دار إسلام ..

النصر المؤزر على الفرنجة في معركة الزلاقة في رمضان سنة ٤٧٩هـ : حدثت معركة الزلاقة في سهل يقع على مقربة من دولة البرتغال الحالية .. وكان المسلمون بقيادة يوسف بن تاشفين ..وجيش الفرنجة بقيادة الفونسو السادس .. وأخذ المسلمون يطاردون أعداءهم حتى قيل : إنهم أفنوهم عن آخرهم .. وهذه المعركة من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي ، حيث ضمن للإسلام قوته وعزته في بلاد الأندلس أربعة قرون أخرى ..

انتصار المسلمين على التتار في عين جالوت ٦٥٨هـ ﴿ رمضان ﴾ :

أوقف الله جلت قدرته الزحف التتري الوحشي على العالم الإسلامي .. ففي يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ وقعت المعركة الحاسمة بينهم وبين المسلمين بقيادة السلطان قطز ، وكان النصر الإلهي .. وقُتل قائد التتار كتبغا .. فولى التتار الأدبار ..

انتصار المسلمين على الصهيونية في رمضان ١٣٩٣هـ :

في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة .. تحقق وعد الله تعالى بالنصر لعباده المؤمنين ، فعبر جيش المسلمين قناة السويس ، وحطم أسطورة الجيش الذي لا يُقهر ، وهدموا - بحول الله وقوته - خط بارليف .. فتحطمت أحلام الصهيونية ..

هذا وبالله تعالى التوفيق ، والحمد لله على نعمة الإسلام ، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

٧٧٧

الاعتذار في الشعر العربي الإسلامي

الدكتورة عطية بنت خليل الأنصاري الخزرجي
رئيسة قسم اللغة العربية (سابقًا) بجامعة كراتشي - باكستان

[الحلقة الأولى]

تحليل لغوي لكلمة (الاعتذار) : قال صاحب الوسيط (عَذَرَ) فلان - كثرت ذنوبه ، وفلانًا - فيما صنع عذرا ومعذرةً ورفع عنه اللوم فيه (أعذر) أي ثبت له عذر ومنه المثل (أعذر من أنذر) وأبدى عذرا و (اعتذر) من ذنبه ، واعتذر عن فعله : أي تنصّل واحتج لنفسه : (اعتذر فلان : صار ذا عذرٍ) والعذر عند اللغويين معناه (الحجة التي اعتذر بها) جمع (أعذار) وقال الفراء : « ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر) أي : أتى بعذر ، ويقال عذر يعذر عذرًا في معنى (اعتذر) ويقال تعذرت إلى الرجل تعذرا : أي اعتذرت إليه اعتذارًا، ويقال : اعتذر من ذنبه وتعذر، معناه : تنصّل منه (انظر الوسيط طبع استانبول ١٩٢٢م وكذا في اللسان) وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم • قل لا تعتذروا • لن نؤمن لكم قد نبّأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله • ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ٥٤] معنى (لا تعتذروا) أي لا عذر لكم (١) ، والاعتذار تعبير عن شعور إنساني تدفع الإنسان إليه دوافع مختلفة والأصل أن يدفع النفس إليه شعور حقيقي بالذنب أو الخطأ ، وقد تدفع الإنسان إليه (رغبة) من درء الظلم والكيد ، وقد يدفع النفس إليها

بخوف من البطش والتكيل وغير ذلك الدوافع التي تختلف باختلاف الأسباب التي من أجلها يضطر المرء للاعتذار .

وقد وجد فن الاعتذار منذ بدأ الإنسان يشعر بذنبه أو بخطئه ويخاف ممن خطأ بحقه أو يرهب من غضب عليه حتى ولو لم يكن قد أذنب بحقه .

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع للبحث إعجابي بفن التعبير وشوقي إلى ردّ فعل المعتذرين كما راعني تفنن بعض المعتذرين ليقنعوا من يعتذرون إليهم للوصول إلى أهدافهم من اعتذاراتهم الرائعة اللطيفة .

وقد وجدت نفسي أمام مادة كثيرة واسعة من فن الاعتذار في الأدب العربي الإسلامي ، وقد اتضح لي أثناء دراستي وبحثي في هذا الموضوع أن ظاهرة الاعتذار ترتبط في أغلب أحوالها بعدة أمور ، وأحيانًا وجدت أن الاعتذار فن ضيق يمكن إرجاع المعاني التي قيلت فيه إلى أصول معينة وأسباب محددة ، كما أن الاعتذار والتنصل والاستعطاف كلمات مختلفة ولكنها تستخدم في معنى واحد يدل على إقرار واعتراف بالخطأ .

وكل اعتذار يوجد فيه شرح للظروف التي دفعت المعتذر إلى الخطأ ، وذلك بقصد تخفيف وطأة غضب المعتذر إليه ، وكل اعتذار قمنا بدراسته الدقيقة في هذه المحاولة المتواضعة ، وجدنا فيه محاولة للتخلص من الذنب والتنصل ، وباعتراف سواء كان الاعتراف صريحًا أو ضمنيًا ، فلذلك لا يمكن أن يخلو الاعتذار من « المدح » لسعة صدر المعتذر إليه .

وأرى أنني لا أحتاج إلى التعمق في ذكر أو عرض كل ما قيل في الشعر العربي الإسلامي لأن هذا الموضوع يوشك أن يطول وألا ينقضي دون

إسهاب لكثرة أمثلة الاعتذار ونماذجه المتنوعة في الأدب العربي ، وفي كل عصر من العصور منذ خير القرون .

وإنما حسبُنا أن نقف عند نماذج شعرية ونثرية من هذا الفن الجليل الجميل من العصر النبوي على صاحبه الصلاة والسلام إلى العصر الأندلسي الأخير (عصر ملوك الطوائف) ومن أشخاص مختلفين بارزين في هذا الفن حيث تُغنينا هذه النماذج عما لانذكر منه .

وأول اعتذار في خير القرون هو اعتذار سيدنا كعب بن زهير بن أبي سُلمى لرحمة للعالمين محمد رسول الله -ﷺ- ، وقد أهدر النبي الكريم -ﷺ- دمه لما كان كعب بن زهير يهجو خير خلق الله وأصحابه - عليه الصلاة والسلام -، فجعل كعب يستجير بقبائل العرب واحدة بعد أخرى ، ولكنها لم تكن هناك قبيلة تجيره على رسول الله -ﷺ- فلما اشتد عليه الطلب وأرجف الناس بأنه مقتول قدم كعب إلى المدينة المنورة وقد هدى الله تعالى قلبه للإسلام فدخل على رسول الله -ﷺ- وهو متلثم بعمامته فكشف عن شخصيته فأمنه رسول الله -ﷺ- .

فأنشد كعب بن زهير بين يديه -ﷺ- قصيدته الخالدة (بانت سعاد) التي صور فيها خوفه وفزعه من رسول الله -ﷺ- قال فيها كعب بن زهير - رضي الله عنه - :

أنبئت أن رسول الله أوعدنـــــي
و العفو عند رسول الله مأمـــــول
مهلا ، هداك الذي أهداك نـــــافلة الـ
ـقرآن فيها مواعيـــــظ و تفصيل
لا تأخذني بأقـــــوال الوشاة و لم
أذنب ، و لـــــو كثرت في الأقاويل

وفي رواية أبي بكر بن الأنباري : أنه لما وصل إلى قوله :

إن الرسول لنور يستضاء بـــــه

مهند من سيوف الله مسلـــــول (٢)

كساه رسول الله -ﷺ- بردته الشريفة كانت عليه (كانت من برود يمانية ، ولذا تعرف القصيدة حتى اليوم بقصيدة بردة) وقد اشتراها معاوية بن أبي سفيان من أبناء كعب بعشرين ألف درهمٍ ، وكان يلبسها الخلفاء بعد معاوية في العيدين ، قال عبد الملك بن هشام : يقال : إن رسول الله -ﷺ- قال لكعب بعد ذلك أولا ذكرت الأنصار ؟ وهم أهل لذلك ؟ فقال كعب مرتجلاً :

من سره شرف الحياة فلا يـــــزل

في مقنب من صـــــالح الأنصار

ورثـــــوا المكارم كابرًا عن كابرٍ

إن الخيار همو بنو الأخيـــــار (٣)

وكل اعتذار لابد فيه من شعور بالأسف على اقتراف الذنب أو الخطيئة واستعطاف لنيل العفو ، و قد يعبر المعتذر عن ندمه للعمل الذي قام به مهما كان سببه .

وسوف نرى منها نماذج من نوع الاعتذار لاستمالة قلب المعتذر إليه واستعطافه عليه ، فأول ما أعجبني من نماذج العصر الأموي منها ما قال نصيب بن رباح مولى عبد الملك بن مروان فقد استبطأه هشام بن عبد الملك حين ولي الخلافة واشتد عليه غضب الخليفة فاعتذر الشاعر بمرضه قـائلاً :

حلفت بمن حجت قريش ببيتـــــه

و أهدت له بدنًا عليها قـــــلائد

لئن كنت طالت غيبتي عنك إننـــــي

بمبلغ حولي في رضـاك لجاهـــــد

و لكنني قد طال سقمي و أكثـــــرت

العهار المشفقات العوائـــــــد

صريح فراش لا يزلن يقلن لـــــي

بِنصح و اشفاق متى أنت قاعـــــد

و إني فلا تستبطئن بمودتـــــي

و نصحى و إشفاقي لديك لعائـــــد

فلا تقصنى حتى أكون بصرعـــــة

فييأس ذو القربى ويشمت حـــــاسد

أنلني و قربني فإني لبـــــالغ

رضاك بعفو من نداك و زائـــــد (٤)

أما العتاب بين الأحبة والأصدقاء فقد يظهر في صورة العتاب ومن جميل أمثلة هذا النوع من العتاب ما كان بين ابن الدمينة وحبيبته التي قامت تعاتبه :

و أنت الذي أخلفتني ما وعدتنـــــي

و أشمت بي من كان فيك يلـــــوم

و أبرزتني للناس ثم تركتنـــــي

لهم غرضًا ، أرمى و أنت سليـــــم

فلو أن قولاً يكلم الجسم قـــد بدى
بجسمي ، من قول الوشاة كلـــوم

فأجابها ابن الدمينة بمثل عتابها وأرى أنه ألطف أساليب العتاب :

و أنت التي قطعت قلبي حـــزازة
و قرحت قرح القلب فهـــو كليم

و أنت التي كلفتنـــي درج السرى
وجون القطا بالجهلتين جثـــوم

و أنت التي أحفظت قومـــي فكلهم
بعيد الرضا داني الصـــدود كظيم (٥)

ثم نرى أن العتاب والملامة عكس الاعتذار والاستعطاف ، ولكن العتاب جزء لا يتجزأ من الحب ، وقد نقل أبو تمام حبيب بن أوس الطائي قولاً لشاعر جاهلي وهو يقول : « وفي العتاب حياة بين أقوام » .

أما استعطاف جرير فهو طريف جدًا خاطبه به الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز وقد تزهد الأمير الأموي بعد ما تولى مقاليد الحكم وأغلق باب الخلافة على الشعراء لئلا يدخلوا عليه للتكسب بالمدح كما كان دأب شعراء بلاط آبائه من الخلفاء الأمويين ، وفتح بابه بالعكس على العلماء والقراء من رجال الدين ، فأراد جرير يومًا أن يزور الخليفة فطال به الانتظار وقد يرى من الداخلين والخارجين من باب دار الخلافة القراء والعلماء ، فقال جرير لأحد من هؤلآء مرتجلاً :

يا أيها القارئ المزجى عمامتـــه
هذا زمانك ، إني قد مضى زمنـــي

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيـــه
أنى لدى الباب كالمصفود في القرن (٦)

فلما استثناه الخليفة من الشعراء وأراد جرير أن ينشد ، فقال عمر ابن عبد العزيز : قل يا جرير ! ولكن لا تقل ، إلا حقًا ، فقال جرير في مدح الخليفة يستعطفه :

كم باليمامة من شعثاء أرملـــة
و من يتيم ، ضعيف الصوت و النـــظر

ممن يعدك تكفي فقد والـــده كـ
ـالفرخ ، في العش لم ينهض ولم يطر

يدعوك دعـــوة ملهوف كأن به
خبـــلا من الجن ، أو مسا من البشر

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنـــا
من الخليفة ، ما نرجو من المطـــر

أتى الخلافة أو كانت لـــه قدرًا
كما أتى رب موسى علـــى قدر

هذى الأرامل قد قضيت حـــاجتها
فمن لحاجة هـــذا الأرمل الذكر

أما اعتذار ثابت قطنة فهو يختلف تمامًا عن الأسباب التي درسناها في هذا البحث لأنه كما ذكره ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) كان من شعراء خراسان وفرسانها ، وقد ولاه يزيد بن مهلب عاملاً في خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة حُصر فلم ينطق فاعتذر عن عيّه وبعدم قدرته

على الكلام قائلاً :

« سيجعل الله بعد عسرٍ يسرًا ، وبعد عي بيانًا ، وأنتم أيها الناس أحوج إلى أمير فعال منكم إلى أمير قوال » ثم أنشد :

و إن لم أكن فيكم خطيبا فإنني
بسيف إذا جد الوغى لخطيب

فقالوا : لو كنت قلت هذا البيت على المنبر كنت أخطب الناس ، وقال ابن قتيبة : ذهبت عينه وكان يحشوها بقطنة فسمي قطنة ، وقال فيه القائل :

لا يعرف الناس منه غير قطنته
و ما سواه من الأنساب مجهول

وهناك من نماذج رائعة للاعتذار في الشعر العربي الإسلامي ومنها اعتذار أبي طيب المتنبى لسيف الدولة الحمداني ، وقد صحبه المتنبى ما يقرب تسع سنوات ، ومما لا شك في أن المتنبى كان أخصب وأقرب الشعراء الذين لزموا سيف الدولة وأغزرهم مادة وأسرعهم بديهة وأسبقهم إلى الأمير ، فإذا أضفنا إلى ذلك تفوقه نستطيع أن نعترف بعظم قدر المتنبى كأشعر الشعراء في العصر العباسي ، وفضله على جميع الشعراء في تلك الحقبة ونصل إلى سر كثرة خصومه ، وهو كما قال رسول الله -ﷺ-: « كل ذي نعمة محسود » وقد أحاط بالمتنبى خصومه منذ اتصل بسيف الدولة من مكر حساده وخصومه وكيدهم وحقدهم حتى عكر الواشون على المتنبى صفاء حياته ، وعرضوا صلته القوية بسيف الدولة وحتى حياة الشاعر نفسها للهلاك ، وعلى الرغم من أن سيف

الدولة كان وفيًا للمتنبى غير أنه كان كغيره من الأمراء يصغى إلى الوشاة ويميل إلى الكائدين فكان الشاعر مضطرًا إلى أن يدافع عن نفسه بالعتاب تارة وبالاستعطاف والاعتذار تارة أخرى ، ويدفع شر منافسيه وخصومه بالهجاء ويرد كيد العذال والحاقدين عليه ، بل نعتقد أن خصوم المتنبى كأنهم لم يكتفوا بالجهر بعداوته والسعي عند الأمير ، بل يبدو أن المتنبى الشاعر أحس انصراف الأمير عنه وتقريبه لبعض خصومه فأراد المتنبى أن يجزئ الاعراض بالاعراض فابطأ في مدح الأمير سيف الدولة فأنكر الأمير منه هذا الابطاء فأظهر سيف الدولة غضبه باعراضه عن المتنبى ذات يوم بمحضر من الناس وعاد الشاعر خجلاً ، كئيبًا ، وأراد أن يستدرك أمره فأرسل إلى الأمير يعتذر إليه ويستعطفه بقله :

أرى ذلك القرب صار ازورارا
و صار طويل السلام اختصارا
تركتني اليوم في خجلة
أموت مرارًا و أحيا مرارا
أسارقك اللحظ مستحييا
و أزجر في الخيل مهري سرارا
و أعلم أنى إذا ما اعتذرت
إليك ، أراد اعتذاري اعتذارا
و ما أنا أسقمت جسمي به
ولا أنا اضرمت في القلب نارا

قواف إذا سرن عن مقولـــــي
وثبن الجبال و خضن البحـــارا

ولي فيك ما لم يقل قـــائلٌ
و ما لم يسرِ قمـــرٌ حيث سارا

واستمر المتنبى إلى آخر القصيدة يسجل اعراض سيف الدولة وغضبه واعترافه بالخطأ ثم اعتذاره منه مؤكدًا أنه لم يتعمد،ويستأنف كلامه إلى الأمير فيخبره أنه لم يقل فيه كل ما يجب أن يقال فيذكر سيف الدولة بما قاله فيه من شعر لم يستطع القمر أن يسير ثم يتم الأبيات مادحًا مستعطفًا .

ولكن يبدو أن سيف الدولة لم يقبل من الشاعر فلم ير المتنبى إلا أن يفجأ خصومه ويسترد قلب سيف الدولة عنوة واقتدارا ، فإذا به يسعى ذات يوم إلى القصر وينشد سيف الدولة بمحضر من خصومه جميعًا ، وعلى رأسهم أبو فراس الحمداني ابن عم الأمير ميميته الرائعة الخالدة ، والعلاقة بينه وبين سيف الدولة علاقة حب وتوحد،فلنر كيف يعبر عن هذا التوحد في القصيدة التي مطلعها :

وا حرَّ قلباه ممن قلبـــــه شبم
و من بجسمي و حالي عنـــده سقم

حيث يقول :

إن كان يجمعنا حب لغـــــرته
فليت أنّا بقـــــدر الحب نقتسم

وقد ألح المتنبى في هذه القصيدة حتى كاد يبلغ الهجاء وأسرف في

المدح ليصلح ما أفسده العتاب ، فكان الشاعر يجرح قلب الأمير بيد ويأسو بأخرى ، ومهما كان الأمر فقد رضي الأمير عن شاعره وقد أظهر سيف الدولة استعدادًا حسنًا للعفو عن المتنبي عند ما اعتذر عن ذنبه وتاب جهرًا من خطيئته وأعلن ذلك قائلاً :

ألا ، ما لسيف الدولة اليوم عاتبـــا
فداه الورى أمضى السيوف مضـــاربا

حنانيك مسئولاً و لبيـــــك داعيا
و حسبي موهوبًا و حسبك واهبـــا

و إن كان ذنبي كل ذنب فإنـــــه
محا الذنب كل الذنب من جاء تائبـــا

عفا سيف الدولة عن شاعره ، فكف عنه أعداءه وأمنه على حياته وأذن له بالعودة إلى القصر وتلقاه لقاء العطف والمودة والحب ، وفي الواقع أن سيف الدولة وحب المتنبى له هو الذي جعل كل هؤلآء الناس أعداء للمتنبى وأن له فيه قصائد ومدائح ، والشعراء كانوا يرددون شعر المتنبى ولو كانوا من خصومه وحساده .

« الفضل ما شهدت به الأعداء »

ولا غرابة فيما إذا قام سيف الدولة بالإحسان إليه وقد اعترف به شاعره المتنبى بقوله :

و ما الدهر إلا من رواة قصـــائدي
إذا قلت شعرا أصبح الـــدهر منشدا

أجزني إذا أنشدت شعـــــرا فإنما
بشعري أتاك المادحون مـــــرددا

و دع كل صوت غير صوتي فإننـــي
أنا الطائر المحكي و الآخر الصـــدى

و قيدت نفسي في ذراك محبـــــة
و من وجد الإحسان قيدا تقيـــــدا

وأخيرًا نرى كيف يخاطب سيف الدولة في هذه القصيدة على نحو يبدو به الموقف ، وكأنه موقف معاتبة بين الصديقين وكلاهما يخلص الود لصاحبه وكلاهما يحرص عليه :

يا أعدل النـــــاس إلا في معاملتي
فيك الخصـــام و أنت الخصم و الحكم

أعيدها نظرات منـــــك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمـــه ورم

[يتبع]

الهوامش :

---

(١) القرآن الكريم ، والأحاديث التي أوردناها في البحث من البخاري والمشكاة .

(٢) شرح قصيدة كعب بن زهير - رضي الله عنه - جمال الدين محمد بن هشام الأنصاري ، طبع دار المعارف - مصر ١٨٤٦م .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٠م .

(٤) خزانة الأدب ولب لباب ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٨هـ .

(٥) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم القيرواني ، طبع دار الجيل ١٩٢٥م بيروت .

(٦) يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي طبعة ١٩٢٤م القاهرة .

الظواهر الاجتماعية الأدبية لدى الجاحظ

الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

المبحث الأول : الجاحظ وظاهرة البخل :

أريد أن أتناول في هذا الفصل موضوعًا من مواضيع الجاحظ وهو البخل والاقتصاد ، وأبحث شخصية هذا الكاتب الشهير ، من هذا المنظور ، وأبرز حقيقة تلك المسألة تاريخيًا ، وأرسم شخصيته في ضوء تصريحات الأدباء والناقدين .

لقد اعتنى الأدباء والمؤرخون بشخصية الجاحظ في كل عصر ومصر ، عناية بالغة ، وسلكوا مسلكه في البلاغة وقوة الاستدلال ، وفي الأسلوب أيضًا ، وعرضوه حسب ذوقهم ، وكتبوا عنه كثيرًا ، وأشادوا بخدماته الجليلة التي قام بها طيلة حياته ، حتى إن بعض الأدباء ، لقالوا : إنني لا أستطيع أن أصف هذا الكاتب الشهير ، وإن قلمي لعاجز عن عرض غزارة علمه ومعانيه ، وتبحره في علم الكلام والبلاغة والفصاحة كما يعجز اللسان عن بيان وصفه ، ولكن مع ذلك كله كلما تحدث الأدباء عن الجاحظ جرى فيهم بحث عما إذا كان الجاحظ بخيلاً أم لا ؟

هل كان الجاحظ بخيلاً أم لا ؟

هذا سؤال مهم يحتاج إلى استعراض دقيق ، استعراض حياته الفردية والاجتماعية ، فإذا استعرضنا حياته الفردية والاجتماعية ، وبحثنا عن نواحيها المختلفة ، ودققنا النظر عثرنا على روايات مختلفة يدل بعضها

على حرصه في الاقتصاد واستخدامه لوسائل الاقتصاد والبخل ، ومن أجل ذلك ذهب بعض الأدباء والمؤرخين إلى أن الجاحظ كان بخيلاً وضنينًا على إخوانه ، وذلك لأن الإنسان إذا كان مولعًا بشئ يتحدث عنه كثيرًا ، ويلهج لسانه بذكره ، كما أن الجاحظ قد صور قصص البخلاء وجعل له جزءًا مستقلاً بدأه برسالة سهل بن هارون التي أشاد فيها بالاقتصاد والبخل ، وقدم فيه منهجه في الاقتصاد والشح وختم ذلك الكتاب برسالتين كتبهما الجاحظ بأسلوبه ، مدح في إحدى الرسالتين البخل والاقتصاد ، وذمّ الاقتصاد والبخل في أخراهما ، وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه (١) : « أخبرنا أبو عبد الله النيسافوري قال : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن بالويه يقول : سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يقول : قال لي إبراهيم بن محمود ، ونحن ببغداد ، ألا تدخل على عمرو ابن بحر الجاحظ ؟ فقلت : ما لي وله ، فقال : إنك إذا انصرفت إلى خراسان سألوك عنه ، فلو دخلت إليه وسمعت كلامه ، ثم لم يزل بي حتى دخلت عليه يومًا ، فقدم علينا طبقًا عليه رطب فتناولت منه ثلاث رطبات وأمسكت ومرّ فيه إبراهيم : فأشرت إليه أن يمسك فرمقني الجاحظ ، فقال لي : دعه يافتي فقد كان عندي في هذه الأيام بعض إخواني فقدمت إليه الرطب فامتنع ، فحلفت عليه فأبى إلا أن يبر قسمي بثلاث مائة رطبة » .

استنتج بها الأستاذ أحمد العوامري وعلى الجارم حجة كبيرة على

---

(١) تاريخ بغداد للبغدادي : ج/١٢ ، ص/٢١٨ .

اقتصاد الجاحظ وشحه ، قائلين (١) : « لأن الولوع بالشئ يحبب إلى النفس التحدث عنه ، والإضافة فيه ، ولأن من عرف الجاحظ وأن من أبرع صفاته أن يستر ما يحب أحيانًا بإعلان ما لا يحب ، رجّح أنه كان بخيلاً » مع أن الرواية التي ذكر الخطيب البغدادي أقرب إلى أن يستأنس بها على كرمه لا أن يُستدل بها على بخله ، و لو كان الجاحظ على شئ من البخل لما قدم الرطب لزوّاره .

وهناك روايات كثيرة تدل وتشير إلى كرامته ، وأدباء ومؤرخون مثل الأستاذ كرد علي جندوا دلائل واضحة على كرامته وشرافته ، فقد قال الأستاذ كرد علي في كتابه الشهير « أمراء البيان » : « إنه كان يحافظ على أوقاته لا يضيع منها ما يمكن شغله ، بعيدًا عن الفوضى بعض البعد ، ويحبّ النظام في الجملة ، إلا أنه كان لا يدّخر المال إلى أيام العسرة ، و إذا أتاه ينفقه و لا يحسب للغد حسابًا كبيرًا ، ولذلك كان يعسر أحيانًا وتعوزه النفقة ، ويلوب على الناض يرتفق به ، وما كان ضنينًا على إخوانه » (٢) .

وقال بروكلمان : « وليس كل من أجاد وصف شئ كان أدنى إلى أن يكون متلبسًا به » (٢) ، وأيده الأستاذان الجليلان الدكتور طه الحاجري

---

(١) مقدمة كتاب البخلاء ، للأستاذ أحمد العوامري وعلى الجارم .

(٢) أمراء البيان ، للأستاذ كرد علي .

(٣) تاريخ الأدب العربي : ج/٣ ، ص/١١٠ .

والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي » (١) .

مناقشة الآراء :

وأما الولوع بالشئ يحبب الإنسان إلى النفس التحدث عنه الذي قاله الأستاذان الجليلان أحمد العوامري وعلى الجارم ، فيجب أن نحترس هذا القول ، وذلك لأن التحبيب إلى النفس والتحدث عن شئ والإطالة فيه لا يستلزم الولوع بشئ ، أما الولوع بالشئ فيستلزم التحبيب إلى النفس والتحدث عنه والإطالة فيه ، كما أننا نرى أن أبا نواس كان يطيل الكلام في الخمر ، وهو معروف بخمرياته ، وتعدّ خمرياته من أثمن ثروته الأدبية ، فهل كان أبو نواس مدمنًا للخمر ؟ فقال أبو الفرج الأصفهاني عالم أخبار العرب : « إنه لم يكن مدمنًا للخمر بل إنما هو يقول الشعر في الخمر تسلية للناس » فكأنه كان يقول بلسان حاله : « أصف الراح ولا أشربها » .

لو فكرنا من ناحية أخرى ودرسنا حياة الشعراء والكتاب دراسة عميقة لرأينا بينهما فرقًا كبيرًا ، ذلك أن الشعراء والمغنين أكثر ميولاً إلى الشح والاقتصاد ، وحياتهم الاجتماعية والفردية لأكبر شاهد علي شحهم ، كما أن إبراهيم الموصلي أكبر المغنين كان أكثر الناس شحًا ، وأخبار مختلفة قد جاءت عن البحتري يدل جميعها على شحّه واقتصاده وما إلى ذلك ، وأما الكتاب فيعرفون في كل عصر بالكرامة ، وسعة اليد ،

---

(١) في كتابه : « الجاحظ حياته وآثاره » وفي كتابه : « أبو عثمان الجاحظ » .

وخير من يمثل هذه الطائفة الصاحب بن عباد .

إن الذين يتهمون الجاحظ بالبخل لا يدعم حجتهم إلا كتاب البخلاء ، وهو دليل لا يقبله العقل ، فإن ذكر الشئ أو تصوير ظاهرة لا يدل على وجود تلك الصفة أو ذلك الشئ في الوصّاف ، فكل من يذكر الكريم لا يعدّ كريمًا ، ومن يذكر الجرأة لا يكون جريئًا ، ومن يذكر الخمر لا يكون سكيرًا ، وعلى هذا الأساس ليس هناك دليل على أسس تاريخية تدلّ على كون الجاحظ بخيلاً بل الأصح أنه درس المجتمع دراسة عميقة ، وهذه الدراسة قد أثارته إلى أن يكتب كتابًا في البخل يصور فيه هذه الظاهرة التي كانت كرد فعل للترف ، ذلك لأن المجتمع الذي عاش فيه الجاحظ كان مجتمعًا مترفًا ، كان الخلفاء يميلون إلى اللهو والترف ، وكانوا يبذلون الأموال في كسب السمعة ، وتهدئة النفس ، وتنشئة الغلمان والجوارى ومغنيات ، ويبذلون في إكرام الشعراء والكتاب .

كان ابن المقفع يصادف ضياع الأخلاق وقلة المبالاة بالشيم النبيلة فأكد على ناحية التمسك بالقيم ، واختار موضوع الأخلاق ، وصادف الجاحظ الترف ، وضياع المال فاختار موضوع الإمساك ، والاقتصاد للتوازن ، وبهذا الاعتبار يستحق أن يعتبر مصلحًا اجتماعيًا ، ومؤدبًا أخلاقيًا ، مثلما يستحق أن يعتبر مصورًا للظواهر الاجتماعية .

الفقه الإسلامي

الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي

[الحلقة الأولى]

بقلم : أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول . كلية الشريعة - جامعة قطر

تمهيد

إذا كان لبعض الأمم تراث فكري وحضاري تعتز به وتفخر فإن الأمة الإسلامية خليقة بأن تعتز كل الاعتزاز بهذا التراث الفقهي المجيد الذي يعد بحق ثروة تشريعية فريدة في تاريخ البشرية، فقد تميزت بالموضوعية والإنسانية والاستيعاب والمرونة، والنظريات القانونية الدقيقة، ومراعاة المصلحة العامة والخاصة في عدل وانصاف.

وهذه الثروة العلمية الرائعة إذا كانت قد قامت على المصادر التشريعية الأصلية من الكتاب والسنة فإن الفضل فيما اشتملت عليه من آراء ونظريات مختلفة يرجع إلى جهود عدد غفير من الفقهاء - على مدى عدة قرون - أخلصوا للعلم إخلاصاً نادراً.

ومن هؤلاء الفقهاء الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ناصر السنة وأول من كتب في الأصول كتابة علمية دقيقة، وصلت إلينا، وكان إلى إمامته في الفقه والحديث والأصول إماماً في العربية، فهو لغوي ضليع، وأديب مطبوع، وشاعر يرسل الشعر كالماء المنهمر بلا كلفة ولا صنعة، روى ابن خلكان أن الأصمعي (ت ٢١٦هـ) مع جلالة قدره في اللغة وكلام العرب والشعر، قرأ على الشافعي أشعار الهذليين[١].

ومما يشهد لمكانة الشافعي ما جاء عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر الدعاء له، فقال لي : يا بني : كان الشافعي كالشمس للنهار، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض[٢].

وقال صاحب مفتاح السعادة عن الإمام الشافعي: هو إمام الدنيا وعالم الأرض شرقاً وغرباً، جمع الله له من العلوم والمفاخر ما لم يجمع لإمام قبله ولا بعده، وانتشر له من الذكر ما لم ينتشر لأحد سواه[٣].

---

١ - انظر وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٤، ص ١٦٣، تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت.
٢ - انظر مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده جـ ٢، ص ٢٢٣.
٣ - المصدر السابق ص ٢٢٥.

وما قاله طاش كبرى زاده لا مبالغة فيه ولا اسراف، فالشافعي كان منبوماً في طلب العلم، درس كل الاتجاهات الفقهية في عصره، وما كان يتقيد بنحلة من يقرأ له، فهو لا يهمه إلا أن ينال من العلم من غير نظر إلى صاحبه، ومن ثم درس فقه مالك والأوزاعي والليث وأبي حنيفة على يد محمد بن الحسن، ولم يجد حرجاً في أن يطلب الفقه عند من اشتهر بالاعتزال أو عرف بالتشيع[٤].

وكان في دراسته لتلك الاتجاهات لا يتبع الأسماء والرجال، وإنما يتبع الحق وما يطمئن إليه عقله الناقد وفكره الراشد، وفهمه الدقيق، ولأن الإمام الشافعي درس كل الاتجاهات الفقهية في عصره دراسة علمية تتسم بالعمق والدقة والنقد كان له أثره الواضح في التقريب بين مدارس الفقه المختلفة أكثر مما كان لغيره من الفقهاء[٥]، كما أنه يختلف عن أئمة الفقهاء، في أنه نشر مذهبه ودون آراءه وكتب فقهه وأصوله بنفسه، وهذا لم يتحقق لسواه من أئمة المذاهب المشهورة.

وقد استوعب فقه الشافعي كل مجالات علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقة الإنسان بغيره من الكائنات، والشافعي في هذا لا يختلف عن كل الأئمة، ففقههم جميعاً تناول تلك المجالات على نحو تفصيلي يشهد لهم بسعة الأفق وغزارة العلم، وما بين هؤلاء الأئمة من فروق يرجع إلى تفاوت الطاقات البشرية، وشمولية الفكرة القانونية وعمقها.

ويحتل الجانب الاقتصادي في فقه الشافعي مساحة واسعة لا يكاد يبلغ إليها جانب آخر من هذا الفقه، ومبلغ علمي أن ذلك الجانب لم يدرس من قبل كما درس الجانب الأصولي، أو الفقهي بوجه عام، ولعل مرد ذلك إلى أن هذا الإمام لم يترك أثراً علمياً قصره على القضايا المالية كلها أو بعضها كما فعل الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة في كتابه الخراج، وكذلك الإمام محمد بن الحسن الشيباني، في كتابه الاكتساب في الرزق المستطاب وغيرهم.

---

٤ - انظر الشافعي للشيخ محمد أبو زهرة ص ٤١-٤٨، ط. دار الفكر العربي، القاهرة.
٥ - كان للإمامين أبي يوسف (ت ١٨٢هـ) ومحمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) ويعرفان بالصاحبين وهما من تلاميذ أبي حنيفة، ولهما وبخاصة الشيباني الأثر الواضح في نشر المذهب الحنفي وتدوين فقهه، لهذين الإمامين دور في التقريب بين أهل الرأي، وأهل الحديث، ولكن دور الشافعي كان أكبر، وأثره في التقريب كان أظهر.

ومع هذا اشتمل التراث العلمي للإمام الشافعي، وبخاصة كتاب «الأم» وهو موسوعة ضخمة في فقه هذا الإمام على كثير من الآراء الاقتصادية، والدراسات التي تتناول قضايا المال بوجه عام من حيث الحصول عليه، والانفاق منه.

ويجدر قبل الحديث في هذا الجانب لدى الإمام الشافعي التعرف بإجمال على المفهوم العلمي للاقتصاد في كل من الفكر الوضعي، والفكر الإسلامي المعاصر للاستهداء بهذا في تحديد مجالات ذلك الموضوع ولو على وجه التقريب.

مفهوم الاقتصاد في الفكر الوضعي :

لا تتفق كلمة العلماء على تعريف واحد لعلم الاقتصاد، ويرجع بعض الباحثين هذا إلى أن علم الاقتصاد علم حديث النشأة، وأن أول دراسة منظمة فيه نشرت منذ نحو مائتي عام فقط. في وقت كان العلماء في الفروع الأخرى للمعرفة الإنسانية قد خطوا بها خطوات واسعة، ومنذ ذلك الحين بدأ علم الاقتصاد - كفرع من فروع العلوم الاجتماعية - يحبو ولياً، ثم يخطو سريعاً على أيدي الاقتصاديين، وهنا أخذت الأحداث والمشكلات الاقتصادية تترى بسرعة خاطفة وتتطور، وكان لزاماً على هؤلاء الاقتصاديين في كل الأجيال المتعاقبة أن يعكفوا على حل هذه المشكلات بحيث لم يكن لديهم فسحة من الوقت للانصراف إلى البحث في تعاريف دقيقة لعلم الاقتصاد[٦] .

ويذهب صاحب الموسوعة الاقتصادية[٧] إلى أن ما صدر من تعاريف لعلم الاقتصاد يمكن تقسيمها بوجه عام إلى مجموعتين : الأولى تقوم على أساس الثروة والرفاهية وهذه تشمل التعاريف القديمة، أما المجموعة الثانية فأحدث عهداً وتوصف بأنها أقرب إلى المنهج العلمي، وهي تبدأ من ندرة الموارد إلى إشباع الحاجات البشرية. ويمثل المجموعة الأولى التعريف الذي طلع به مارشال[٨] : الاقتصاد السياسي أو علم

٦ - انظر مقدمة علم الاقتصاد للدكتور حسين عمر ص ٥ دار المعارف بالقاهرة.

٧ - انظر الموسوعة الاقتصادية للدكتور راشد البراوي ص ٦٥ ص. مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.
وانظر قاموس علم الاجتماع للدكتور محمد عاطف غيث ص ١٤٦، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٨ - مارشال : اقتصادي انجليزي، صاحب المؤلف الشهير «مبادئ الاقتصاد السياسي» الذي وضعه سنة ١٨٩٠م يعتبر زعيم نظرية التوازن الجزئي والاقتصاديات الداخلية والخارجية وانظر: القاموس الاقتصادي للدكتور/ محمد بشير عليه، ط. بيروت.

الاقتصاد هو دراسة تصرفات الإنسان في نشاط الحياة العادي فهو يبحث في الكيفية التي يحصل بها على دخله وكيف يستخدمه. وبهذا فهو من جهة دراسة للثروة، وهو من الجهة الأخرى - وهذا هو الجانب الأهم - جزء من دراسة الإنسان[٩] .

وهذا التعريف ونحوه مما يدور في فلكه يركز على أن الاقتصاد يتكون من الانتاج والتبادل والاستهلاك، كما يركز على خلق الثروة واستخدامها ويقصد بالثروة جميع الوسائل المادية، والتبادل والتوزيع لاشباع الحاجات البشرية[١٠] .

ولكن هذه المجموعة من التعريفات كانت موضع نقد، لأنها تربط علم الاقتصاد بجانب معين من حياة الإنسان وسلوكه على حين أن المشكلات الاقتصادية لا يمكن حصرها في جانب واحد من جوانب الطبيعة البشرية.

وأما المجموعة الثانية من التعريفات فتبدأ من الاعتراف بالحاجة البشرية، وندرة وسائل إشباع الحاجات ومن هذه التعريفات أن الاقتصاد هو العلم الذي يدرس السلوك الإنساني كعلاقة بين غايات ووسائل نادرة ذات استعمالات بديلة.

ويعني هذا أن الموارد غير كافية لإشباع الحاجات، ولابد من إجراء الاختيار حتى يتسنى استخدام الموارد على النحو الذي يحقق أكبر إشباع.

ومع أن هذه المجموعة من التعريفات أقرب إلى المنهج العلمي في نظر علماء الاقتصاد لم تصل إلى تحديد مفهوم له، وأكد هؤلاء العلماء أنه من الصعب تحديد هذا المفهوم.

والذي يلاحظ على كل التعريفات الوضعية للاقتصاد سواء ما كان منها قديماً أو

٩ - الموسوعة الاقتصادية ص ٦٥.

١٠ - ولا فرق بين النظم الرأسمالية وغيرها في هذا المنطلق، لأن كل النظم الوضعية الاقتصادية تنظر إلى المال على أنه غاية وليس وسيلة، ولهذا تتفق هذه النظم على تفاوت فلسفتها، أو إيدلوجيتها على أن الإنسان حيوان اقتصادي يسعى من أجل الطعام والشراب دون الإيمان بمثل عليا يكافح في سبيلها، وعلى أن الحافز الاقتصادي - أي الكسب المادي البحت - هو المسوغ الكافي لكل أنواع النشاط الأنساني بصرف النظر عن أي اعتبار خلقي أو اجتماعي، وانظر : الملكية الخاصة وحدودها في الإسلام للدكتور محمد عبدالله العربي ص ٤٢ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة والإسلام بنظرة عصرية للأستاذ محمد جواد مغنية ص ٢٩، ط، بيروت.

حديثاً أنها تنطلق من مبدأ النظرة إلى الإنسان ككائن مستهلك يسعى لإشباع رغباته، على الرغم من ندرة الموارد بالنسبة لهذه الرغبات، دون أن يربط هذا الاستهلاك بقيم روحية أو مبادئ إنسانية عليا، ولعل تلك النظرة مناط ما تعاني منه الإنسانية في ظل النظم الاقتصادية الوضعية من صراع مادي وتكالب على الثروة، دون مراعاة لقضية الحلال والحرام في الحصول على المال.

مفهوم الاقتصاد في الفكر الإسلامي المعاصر :

عرف الفكر الإسلامي أول ما عرف كلمة اقتصاد بمعنى الاعتدال في الأمر والسلوك فيه مسلكاً وسطاً بين المغالاة والتقصير ومن هذا قول الله تعالى: (فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور)[١١] أي منهم معتدل لا ينحرف نحو الإفراط ولا نحو التفريط.

ولكن الفكر الإسلامي عرف كل ما يتصل بالاقتصاد في المفهوم المعاصر منذ فجر الدعوة وكان هذا الفكر ينمو مع نمو الحياة الفقهية، إذ هو جزء منها وقد اشتملت أمهات كتب الفقه منذ عصر التدوين وإلى الآن على المسائل والأبواب التي تدخل مباشرة في فقه الاقتصاد الاسلامي، كما ظهرت كتب متخصصة ومستقلة في هذا الفقه مع بدايات التدوين الفقهي، وذلك في القرن الثاني الهجري، وظل هذا اللون من البحث الفقهي المستقل يواكب الدراسة الفقهية العامة في كل عصورها.

وفي العصر الحديث تضاعف الاهتمام بالدراسات الفقهية في مجال الاقتصاد وصدرت مؤلفات كثيرة انصب اهتمامها بالدرجة الأولى على بيان خصائص الاقتصاد الإسلامي، وأنه يختلف عن كل ما عرفته البشرية قديماً وحديثاً من نظم اقتصادية، وأنه وحده هو الذي يكفل للبشرية الاستقرار والأمن والسعادة.

فالاقتصاد في الفكر الإسلامي المعاصر يدرس لبيان خصائصه، ومبادئه، وأنه أولى من غيره، ومن ثم لم يهتم الباحثون في هذا الاقتصاد بوضع تعريف له، أو تحديد لمجالاته، وإن كانوا لا يختلفون في أن كسب المال وإنفاقه وتداوله وتنميته تعد أهم قضايا الاقتصاد في الإسلام، وأن لكل منها فروعاً متعددة، وتطبيقات مختلفة.

---

١١ - الآية : ٣٢ في سورة لقمان.

وتكاد تلتقي آراء الذين يكتبون في الاقتصاد الإسلامي[١٢] على أن هذا الاقتصاد له خصائص أساسية ينفرد بها، وهي :

أولاً : الجمع بين الثبات والتطور.

ثانياً : الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة.

ثالثاً : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية.

وأما الجمع بين الثبات والتطور فإن الاقتصاد الإسلامي من حيث أصوله التي وردت في نصوص الكتاب والسنة ثابت غير قابل للتغيير أو التبديل، ولكن هذا الاقتصاد من حيث تفاصيل تطبيق أصوله بما يتلاءم وظروف الزمان والمكان يتسم بالتطور والتغير، والصلاحية الدائمة للتطبيق.

وإذا كانت الشريعة كما يقول الإمام ابن القيم[١٣] مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، فإن الأحكام الشرعية تراعي مصلحة الجماعة والفرد في عدل وانصاف، وبخاصة في مجال الاقتصاد، فهي لا تقر الحرية الفردية المطلقة في الحصول على المال والتصرف فيه، كما تفعل النظم الرأسمالية، كما لا تقر كبت هذه الحرية أو سحقها، وإلغاء النوازع الفطرية كما تفعل النظم الشيوعية أو ما يسمى بالاشتراكية العلمية، وإنما تقر الأحكام الشرعية الحرية الفردية في الكسب، وفق ضوابط وقواعد تحول دون تضخم الثروات وتجمعها في أيد قليلة أو دون تداولها بين الناس، ولهذا يجمع الاقتصاد الإسلامي بين مراعاة مصلحة الجماعة والفرد مع التوفيق بين هاتين المصلحتين في حالة التعارض إذا أمكن التوفيق، ولكن في حالة عدم إمكان التوفيق تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، تطبيقاً لبعض القواعد التي تنص على تحمل أخف الضررين، أو تحمل الضرر الخاص، لدفع الضرر العام، وذلك مثل بيع المواد التموينية جبراً عن مالكها إذا احتكرها ولم يمكن الناس منها، وتسعير السلع إذا تجاوز التجار الحد المعقول في الربح، أو تحديد إيجار المساكن إذا غلا

---

١٢ - انظر : أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة، لأبي الأعلى العودودي، ترجمة محمد عاصم الحداد ص ١٣١، واقتصادنا لمحمد باقر الصدر ص ٢٩٥، ط. بيروت، وذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية للدكتور/ محمد شوقي الفنجري ص ١٧، ط. القاهرة.

١٣ - انظر أعلام الموقعين جـ ٣، ص ١٤ تحقيق طه سعد عبد الرؤوف.

ملاكها في قيمة إيجارها ونحو ذلك(١٤) .

وتعني الخصيصة الثالثة أن قضايا المال كغيرها من القضايا تدرس من منطلق العقيدة الإسلامية، فليست قضايا بعيدة عن الدين، وإنما هي من صميمه وهذا من شأنه أن يطبع الدراسات الاقتصادية بطابع خاص من حيث المبادئ النظرية التي تنهض عليها، وأيضاً من حيث الغايات التي تتوخاها، فمن حيث المبادئ يقوم الاقتصاد الإسلامي على النص الشرعي، فهي مبادئ إلهية، وتشريعات ربانية تضع للإنسان الأصول الكلية، والقواعد العامة، ومن حيث الغايات يسعى هذا الاقتصاد لتعمير الدنيا، وتسخير كل الطاقات لخدمة الإنسان ورفاهيته، لا للاستعلاء والسيطرة، ومن هنا يصبح الاقتصاد الإسلامي وإن كان دراسة للمال «في شتى مجالاته طاعة وعبادة» ويصبح السلوك البشري «في ميدان الاقتصاد كما في سائر الميادين محكوماً بخشية الله ومراقبته» وهي أقوى وأمضى وأجدى من كل القوانين الوضعية، وبذلك يجمع الفكر الاقتصادي الإسلامي بين الروح والمادة، أو بين الدنيا والآخرة.

بين الفكر الوضعي والفكر الإسلامي :

يتضح مما سبق - على إيجازه - أن كلا من الفكر الوضعي والفكر الإسلامي لم يضع للاقتصاد تعريفاً محدداً، أو تعريفاً جامعاً مانعاً ومرد ذلك في الفكر الوضعي إلى تفاوت النظريات الاقتصادية في هذا الفكر، وما يترتب على ذلك من صعوبة تحديد مفهوم للاقتصاد يجمع عليه العلماء أو يأخذ به الجميع.

وأما في الفكر الإسلامي فإن تشعب مسائل وقضايا المال جعل تقديم تعريف يحدد الدلالة العامة للاقتصاد أمراً ليس يسيراً أو مستطاعاً، فضلاً عن أن هذا الفكر اهتم بالحديث عن خصائص الاقتصاد ومكانته ووجوب تطبيقه، وهو إلى هذا ذكر أن هناك قضايا فقهية تدخل مباشرة في مجال هذا الاقتصاد، وهذه القضايا هي ما ينسحب عليها مفهوم «فقه المعاملات»(١٥) .

---

١٤ - انظر أصول التشريع الإسلامي لأستاذنا الأستاذ/ علي حسب الله، ص ٣١٠، ط. دار المعارف بالقاهرة.

١٥ - انظر فقه الاقتصاد الإسلامي وطبيعة التشريع فيه، للدكتور/ رفعت العوضي، بحث منشور في حولية كلية الشريعة بجامعة قطر، العدد الخامس ص ٢٨٤.

ومع هذا لامراء في أن الاقتصاد أياً كان مصدره النظري تدور كل أبحاثه حول المال بمفهومه العام، وإن كان بين الاقتصاديين اختلافات حول بعض المشكلات المالية فإن ذلك يرجع إلى تفاوت النظريات الاقتصادية والأسس التي تقوم عليها.

وإذا كان الحديث عن خصائص الاقتصاد الإسلامي قد أشار إلى تفرد هذا الاقتصاد وأنه أولى في التطبيق من غيره فإن الحديث في المقارنة بين النظم الاقتصادية ليس من موضوع هذا البحث، وإنما كل ما سبق القول فيه أردت به بيان أن الحديث في الفقه الاقتصادي لإمام من الأئمة، لا يمكن حصره في مجال واحد من مجالات الفقه وإن كان لبعض هذه المجالات صلة مباشرة بهذا الحديث.

الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي :

مادام الأمر كما أومات آنفاً، وهو تغلغل قضايا الاقتصاد في معظم أبواب الفقه ومسائله، وأن من الخطأ العلمي أن نحصر هذه القضايا في أبواب محددة وإن كانت لها المنزلة الأولى في الدراسة الاقتصادية، فإن الحديث في الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي سيتناول ما يلي:

أولاً : نظرة استقرائية لقضايا المال في كتاب الأم.

ثانياً : دراسة بعض القضايا المتصلة بالتنمية الاقتصادية.

إن كتاب الأم موسوعة فقهية، ولهذا أسماه ابن النديم مبسوطاً(١٦) ، وفي هذا الكتاب أبواب ومسائل تتعلق بالقضايا المالية والدراسات الاقتصادية، سواء كان ذلك بأسلوب مباشر أو غير مباشر، وفيما يلي استقراء لهذه الأبواب والمسائل وفق ترتيب ورودها في الأم(١٧) .

ليس في الجزء الأول من موسوعة الشافعي الفقهية حديث في مسائل اقتصادية وكل ما اشتمل عليه هذا الجزء خاص بأحكام الطهارة والصلاة والجنائز.

وكان أول كتاب في الجزء الثاني من الأم عن الزكاة، وعرض الإمام الشافعي في

---

١٦ - انظر الفهرست لابن النديم،

١٧ - عولت في تقسيم أجزاء الأم على طبعة، دار الشعب بالقاهرة، وهي مصورة عن الطبعة الأميرية القديمة.

هذا الكتاب لكل ما يتعلق بهذه الفريضة من حيث الأموال التي تجب فيها، وقدر ما يجب ومن تدفع لهم، وزكاة الفطر وبعض المسائل الأخرى.

وبلغ عدد صفحات كتاب الزكاة ثمانين صفحة وهو نحو ثلث الجزء الثاني من الأم، وجاء الحديث في القدر الباقي من هذا الجزء عن أبواب الصيام والحج والصيد والذبائح، والنذر، وتدخل بعض هذه الأبواب في فقه الاقتصاد الإسلامي..

وأما الجزء الثالث من الأم فكله في المعاملات، وقد اشتمل على دراسة البيوع والربا والسلف والرهن والحجر والصلح والحوالة، والكفالة والشركة والإقرار والغصب والمساقاة والمزارعة والاجارة، وكراء الدواب، وإحياء الموات والحمى، والاقطاع والركاز والأحباس والهبة، واللقطة والجعالة.

وفقه المعاملات هو من الدعائم الأساسية للاقتصاد الإسلامي، ويمتاز هذا الفقه باستيعابه لكل صور المبادلات المالية وأيضاً لبعض وسائل الكسب المشروع ووسائل التنمية الاقتصادية، وذلك على نحو تفصيلي دقيق لم يغفل فرعاً أو جزئية من الجزئيات التي تقع في دنيا الناس.

وفي الجزء الرابع تحدث الإمام الشافعي عن الفرائض والوصايا، وقسمة الغنائم والفئ، كما تحدث عن الجزية وقتال أهل البغي والردة، وقتال المشركين ومال الحربي، وحكم السبق والنضال، ثم تناول بعد ذلك تحت عنوان سير الواقدي كثيراً من مسائل الفتح، وعلاقة دار الإسلام بدار الحرب. والواقع أن هذا الجزء إذا استثنينا منه كتاب الفرائض والوصايا يعرض للحرب في الإسلام وآثارها..

والفرائض والوصايا من فقه الإقتصاد الإسلامي، وفي بعض آثار الحرب مسائل كثيرة، هي من صميم هذا الفقه أيضاً، وهذا يعني أن معظم الجزء الرابع من الأم، دراسة اقتصادية إسلامية.

واشتمل الجزء الخامس على أحكام الأسرة من خطبة وصداق ونفقات وطلاق ولعان، وظهار، وإيلاء، وما إلى ذلك مما يتعلق بالنكاح وآثاره.

وتعد أحكام النفقات في الأسرة من قضايا الاقتصاد الإسلامي؛ لأن هذه الأحكام تعكس نظرة الإسلام إلى التكافل في محيط الأسرة وهو منطلق التكافل في محيط

الجماعة، وهذا يشير إلى وظيفة المال في المجتمع الإسلامي.

وعرض الجزء السادس لأحكام الجنايات سواء أكانت عمداً أم خطأ، على النفس أو ما دونها، والقسامة والدية، ثم حد السرقة والزنا والردة، وأخيراً ما يتعلق بالقضاء، والدعوى والبينات.

وتدخل بعض أحكام الجنايات في مفهوم الاقتصاد كالدية، كما أن بعض الحدود كحد السرقة لا يخرج عن هذا المفهوم، لأنه في جوهره حماية للمال من الاعتداء عليه، وعقوبة لمن يؤثرون عدم العمل، وتمتد أيديهم إلى ثمرة عمل سواهم، وهم بهذا يريدون أن يعيشوا عالة على غيرهم، ولا يكدون ولا يكدحون، فهم من ثم مستهلكون لا منتجون، ولا يمكن لاقتصاد أن يزدهر وينمو في ظل مجتمع تعيش بعض فئاته على حساب الفئات الأخرى.

أما الجزء السابع والأخير، فقد بدأ بأحكام الشهادات، والأيمان والنذور والكفارات، ثم اشتمل الجزء بعد هذا على بعض كتب الخلاف بين الفقهاء كالخلاف بين أبي حنيفة وابن أبي ليلى، وبين علي وعبدالله بن مسعود، وبين مالك والشافعي، ثم كتاب العتق، وبعض أبواب في مسائل فقهية متعددة، وكتاب جماع العلم وإبطال الاستحسان والرد على محمد بن الحسن، وسير الأوزاعي، وأخيراً كتاب القرعة وأحكام التدبير والمكاتب.

والجزء السابع من الأم أكبر الأجزاء حجماً، وما ورد في القسم الأول منه وهو ما يعرض لأحكام الشهادات والأيمان والنذور والكفارات، يتصل بعضه بالاقتصاد وبخاصة الكفارات. وأما القسم الثاني على اختلاف كتبه وأبوابه فإنه يتناول كل قضايا الفقه من عبادات ومعاملات على وجه الاجمال غالباً، ومن ثم تضمن هذا القسم بعض المسائل الاقتصادية وإن كان قد سبقت الاشارة إليها في بعض أجزاء الأم.

ويبدو من هذا العرض لموضوعات كتاب الأم أن قضايا الاقتصاد أو المال تحتل مساحة واسعة في هذا الكتاب قد لا تحتلها قضايا فقهية أخرى، وأن تلك القضايا تتداخل مع سواها في كثير من الأحيان، وأن هذا يعني أن دراسة الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي لا يمكن قصرها على فقه المعاملات، وإن كان يمثل العمود الفقري لهذا الفقه. ولهذا رأيت الاجتزاء بذلك الاستقراء ولعل فيه تقديم صورة عن

طبيعة فقه الاقتصاد، لدى الإمام الشافعي، بل ولدى جمهور الفقهاء، لأن ما عرض له هذا الإمام عرض له غيره من الأئمة، ويرجع التفاوت بينهم إلى التصور الذاتي لبعض المسائل، وهو تصور محكوم بالأصول والقواعد العامة، ولكن لكل إمام فهمه وتقديره ووزنه للأمور وبخاصة إذا كانت مجالاً للاجتهاد واختلاف الآراء.

ويمكن القول بأن فقه الاقتصاد في تراثنا الفقهي وإن عرف الاختلاف في بعض الآراء يخضع لضوابط أساسية عامة هي :

(١) أن المال بمعناه العام وهو كل ما له منفعة مباحة شرعاً نعمة من نعم الله وأن ملكية المال في الأصل للحق سبحانه وتعالى، لأنه مالك الملك وخالق الخلق والمنطق البشري، يقتضي أن يكون خالق الشيء هو مالكه، (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء)[١٨] .

والإيمان بهذه الحقيقة، حقيقة أن المال مال الله يحول بين الناس والبطر بما في أيديهم من الأموال أو التجاوز بها حدود ما فرض الله سواء في كسبها والحصول عليها أو الانفاق منها والتمتع بها.

وإذا كان الكتاب العزيز قد نسب المال في بعض آياته إلى الناس كما في قوله تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)[١٩] ، فإن هذه النسبة لا تدل على ملكية حقيقية للمال، وإنما تفيد أن الناس ملكوا فقط حق الانتفاع به بكل ما يقتضيه هذا الحق من التصرف والاستهلاك والاستثمار.

وهذا ما تنبه له بعض علماء الاقتصاد، إذ يقررون أن الناس لا يخلقون الثروات، وإنما يخلقها الله تعالى، وما عمل الإنسان فيها إلا عمل ظاهري شكلي فقط يتناول معالجة الأشياء وتكييفها حتى تصير صالحة لنفع الناس[٢٠] .

(٢) وما دام المال مال الله والخلق كلهم عيال الله، فهم جميعاً سواء في فرص الحصول على هذا المال، والانتفاع به.

---

١٨ - الآية : ١٠٢ في سورة الأنعام.

١٩ - الآية : ١١١ في سورة التوبة.

٢٠ - انظر : الإسلامية لا شيوعية ولا رأسمالية، للأستاذ البهي الخولي ص ٢٧، ط. القاهرة.

وهذه المساواة بين الناس في فرص الحصول على المال، والانتفاع بأنعم الله يهيئ للمواهب والكفايات الجو الصالح لنموها واستثمارها للمصلحة العامة، فضلاً عما في ذلك من خير لنويها، ولا شك أن هذا يثير التنافس الحر بين أبناء الأمة ويشجع الحوافز النفسية على إحسان العمل وإتقانه.

ولكن هذه المساواة من ناحية أخرى لا تلغي الفوارق الفطرية، ولا تحارب الحوافز الفردية، ولا تقضي على التفاوت في حظوظ العيش، فقد مضت سنة الله في خلقه أن يتفاوت الناس في قدراتهم وإستعداداتهم، ومن شأن هذا التفاوت في الطاقات أن تتفاوت حظوظ العيش، فلا سبيل إلى المساواة المطلقة فيها، لأنها تصادم الفطرة التي خلق الناس عليها، وهي أقوى من كل محاولة تريد القضاء على هذه الفطرة.

إن الإسلام دين المساواة والعدالة، ومن المساواة أن تتكافأ الفرص أمام الناس جميعاً للانتفاع بما خلق الله، وسخره لهم، ومن العدالة ألا يسوي بين العاملين، وغير العاملين، بين المجدين والخاملين، بين المقتصدين والمبذرين، ولذلك كانت المساواة المطلقة في الفرص المتاحة للانتفاع بمال الله عدالة، وكان التفاوت في الثروة بين الناس لاختلاف قدراتهم وسعيهم عدالة وما ربك بظلام للعبيد.

(٣) هذا المال الذي خلقه الله لعباده، وسوى بينهم في فرص الحصول عليه والانتفاع به دعا الإسلام الناس لحيازته، وتملكه عن طريق العمل المشروع والكسب الحلال، فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، ورزق الله لا يهبط على القاعدين والمتواكلين.

إن السعي للحصول على المال في حدود ما شرع الله فريضة واجبة، وطاعة مطلوبة فاليد العليا، خير من اليد السفلى، واليد التي يصيبها ما يصيبها من جراء العمل يد يحبها الله ورسوله، ومن بات كالا من عمل يده بات مغفوراً له، ومن كان عوناً لغيره على بلوغ رزقه تضاعف له الحسنات، وتغفر السيئات، ومن كان ينفق على عابد منقطع في بيت من بيوت الله فهو أعبد منه ومن كان يعول ضعافاً أو يسعى ليعف نفسه عن المسألة فهو كالمجاهد في سبيل الله، والمال الصالح بالإضافة إلى هذا عون للرجل الصالح على المكارم والقربات، والعمل وحده هو السبب الأصيل في الحصول على المال.

وقد يحصل الإنسان على المال عن طريق الأرث أو الهبة أو الوصية، ولكن هذه الأسباب ليست الأصل في كسب المال، وهي تحدث قليلاً أو نادراً، أما العمل فهو السبب الطبيعي في حيازة المال[٢١].

ومجالات العمل من أجل المال عديدة ومتنوعة، ومن الطريف الممتع أن الأئمة اختلفوا فيما بينهم : أي الأعمال أفضل وأقرب إلى الله: التجارة أو الزراعة أو الصنعة، وافترقوا في ذلك إلى مذاهب، فقال جماعة، منهم الإمام الشافعي : التجارة أفضل الكسب، وقال آخرون : بل الزراعة أطيبها، لما فيها من معنى التوكل على الله، ولما فيها من النفع العام للآدمي والدواب والطير، وقال الإمام النووي : والصواب أن أطيب المكاسب الصنعة، ويستأنس لهذا الرأي بقوله عليه الصلاة والسلام : ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده.

فهذه المفاضلات بين الأئمة حول الأعمال تفيد أنه كان من المقرر عندهم وجوب العمل لا محالة، وأنه شعيرة من شعائر الدين، وأنهم على هذا الاعتبار كانوا يفاضلون بين أنواع العمل، أيها أعظم قربة إلى الله سبحانه وتعالى وأيها أجدى للناس والدواب والطيور[٢٢].

(٤) وما دام العمل الطيب هو مصدر الكسب الطيب، فإن مجالات هذا العمل لم يحصرها الكتاب السنة، فالقرآن الكريم يأمر بالانتشار في الأرض، طلباً لأنعم الله وابتغاء فضله (فإذا قضيت الصلاة، فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)[٢٣].

فهذا الأمر بالانتشار يشمل كل ضروب السعي في كل سبيل يستطيع المرء أن يجد فيها عملاً يعود عليه بثمرة[٢٤]، إنه أمر بالانتشار في كل وجهة، دون قيد يحد من سعي الإنسان مادام ملتزماً في هذا بحدود الله.

٢١ - انظر السياسة المالية في الإسلام، للأستاذ عبد الكريم الخطيب ص ٩٤، ط. دار الفكر العربي.
٢٢ - انظر الإسلامية لا شيوعية ولا رأسمالية ص ٦٩.
٢٣ - الآية : ١٠ في سورة الجمعة.
٢٤ - انظر السياسة المالية في الإسلام ص ٩٥.

والقاعدة العامة التي تحكم العمل من أجل المال أخذه من حلال، فلا يؤكل بالباطل أياً كان لونه، ويعد الربا أبشع صور الكسب الخبيث فحرمه الإسلام تحريماً قاطعاً مقروناً بالتهديد والوعيد بحرب من الله ورسوله إذا أكله الناس : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)[٢٥]

وكل ما عرض له الفقهاء في أحكام المعاملات - على تعدد أبوابها ومسمياتها - يدور حول هذه القاعدة، وهي أخذ المال من حلال فلا سرقة ولا رشوة، ولا غش ولا خداع، ولا خلابة ولا تدليس، ولا غبن ولا تغرير، ولا مخاطرة، ولا كنز ولا احتكار، ولا تقصير في حفظ ولا ظلم في حق، أو مماطلة في دين، وإنما ينبغي أن تسود معاملات الناس الأمانة، والصدق، والعفة والعدالة والتعاون على الخير والبر.

(٥) والإسلام مع محاربته لكل صور الكسب الخبيث يحذر من فتنة المال، حتى لا يتجاوز به الإنسان دائرة وظيفته الأساسية في الحياة، وهو أنه وسيلة للعيش والبقاء إلى أجل معلوم.

ومع التحذير من فتنة المال حتى لا يطغي الإنسان به، يدعو الإسلام إلى حماية المال، وجعل هذه الحماية في مرتبة حماية العقيدة والنفس، لأن المال وسيلة للحياة فحمايته وصيانته حماية للحياة ذاتها.

وحماية المال تشمل حمايته ممن حازه، وحمايته من غير مالكه، فمن حاز مالاً بطريق مشروع فليس حر التصرف فيه كما يشاء، إنه مطالب بالانفاق منه بالمعروف، أي في قصد واعتدال (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)[٢٦].

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «كل واشرب والبس وتصدق في غير سرف ولا مخيلة»[٢٧] أي في غير مجاوزة للاعتدال وفي غير تكبر.

٢٥ - الآية : ٢٧٨، ٢٧٩ في سورة البقرة.
٢٦ - الآية : ٦٧ في سورة الفرقان.
٢٧ - رواه البخاري.

وإذا كان على الإنسان أن ينفق من ماله بالمعروف فإن عليه أيضاً أن يؤدي ما فرضه الله في هذا المال من حقوق، وألا يكنز المال أو يبخل به على نفسه وعلي غيره.

وأما حماية المال من غير مالكه فقد حرم الإسلام كل إعتداء على المال وأخذ له دون وجه مشروع، وقرر العقوبات والحدود الكفيلة بردع المعتدين، حتى يأمن الناس على أموالهم، ولا تمتد يد إلى مال بغير وجه حق.

وفي حماية المال من مالكه وحمايته من غير مالكه هو حماية للأخلاق من الفساد، وحماية للثروة من الضياع، وحماية للنشاط الاقتصادي من الركود وحماية الإنتاج من الضعف، أو التخلف وعدم مواكبة تطور الحياة وضرورات العيش.

(٦) إن فقه العبادات في الإسلام لا يعرف الاجتهاد كما يعرفه فقه المعاملات لأن الأصل في ذلك الفقه التوقف، وأكثر أحكامه تعبدي لا مجال للعقل فيه، ولا يتطور بتطور البيئات والأزمان، ولهذا جاءت هذه الأحكام في الكتاب والسنة مفصلة على وجه يمنع الاختلاف حولها اللهم إلا في بعض المسائل الجزئية[٢٨].

أما فقه المعاملات فأحكامه قواعد عامة، ومبادئ كلية، ولم يتعرض فيها لتفصيلات جزئية، إلا في النادر، لأن هذه الأحكام تتطور بتطور البيئات والمصالح فاقتصر النص الشرعي فيها على القواعد العامة، دون التعرض لصور التطبيق حتى يكون العلماء وولاة الأمور في كل عصر في سعة من استنباط الأحكام حسب مصالح العباد في المعاش والمعاد، ورفع الحرج عنهم في حدود تلك القواعد والمبادئ.

ومن هنا كثرت الاجتهادات والاختلافات في فقه المعاملات وتغير الافتاء فيها بتغير الزمان والمكان، وهذا يعني كما أشرت في خصائص فقه الاقتصاد أن هذا الفقه يجمع بين الثبات والمرونة، ثبات الأصول، ومرونة التطبيق، وهذا من شواهد صلاحية الشريعة لسريان أحكامها في كل عصر ومصر.

هذه الضوابط العامة لفقه الاقتصاد مع الخصائص التي يمتاز بها هذا الفقه تمثل الإطار العام للنظرية الاقتصادية في الإسلام، وكانت مهمة الفقهاء منصبة على تجلية

٢٨ - انظر علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص ٢٢، ط ٨، دار القلم، الكويت.

أبعاد هذه النظرية، وقد قدموا على مدى عدة قرون ثروة من الآراء والأفكار لا نظير لها في مجال الفكر الاقتصادي.

والإمام الشافعي في مقدمة الأئمة الذين أسهموا بآرائهم واجتهاداتهم في التعبير عن تلك النظرية، تعبيراً يؤكد أن قضية المال - وهو عصب الحياة - شغلت هذا الإمام كما شغلت غيره من الأئمة، مما يدل على أن تراثنا الفقهي تراث شامل لكل قضايا المجتمع، وعلى رأسها قضية المال على خلاف ما يذهب إليه بعض المستشرقين من أن الإسلام ليس به نظام اقتصادي، وأن فقه المعاملات فقه جامد لا يقدر على مواجهة التطورات التي تستجد في المجتمعات الإسلامية، وأن هذا هو سبب التوتر الجوهري الناشئ بين أحكام الفقه وما استقر عليه العرف في بعض المعاملات المدنية[٢٩].

وهذه الدعوى من المستشرقين كغيرها من الدعاوي التي تهاجم الإسلام وتراثه العلمي، لا تقوم على دراسة موضوعية، وإنما تتلمس بعض الشبهات لتصل منها إلى غايتها، وهي زعزعة ثقة المسلمين بدينهم وأنه غير صالح للتطبيق الدائم وأن عليهم من ثم أن يأخذوا من غيرهم. فالإستشراق عمل تبشيري وليس جهداً علمياً خالصاً يتوخى الحقيقة، في أمانة وموضوعية.

وقد أسلفت أن كثرة قضايا المال في فقه الشافعي تحول دون تناول هذه القضايا كلها على وجه التفصيل، وما ذكرته عن الضوابط الأساسية لفقه الاقتصاد الإسلامي يمكن أن يقدم تصوراً عاماً يغني عن تفصيل القول في كل ما عرض له الشافعي من قضايا مالية مع ملاحظة أن للشافعي في هذه القضايا بعض الآراء والأفكار التي يخالف فيها غيره من الفقهاء، والتي تعطي القسمات الخاصة لفقه الاقتصاد لدى هذا الإمام. وإذا كان من الصعب في دراسة موجزة تناول فقه الاقتصاد كله للإمام الشافعي فقد آثرت أن أخص بعض جوانب هذا الفقه بشيء من التفصيل والتحليل، وهو ما يمكن أن يدخل تحت مفهوم التنمية الاقتصادية في الفكر المعاصر، وذلك لأن هذه التنمية هي الشغل الشاغل اليوم لعلماء الاقتصاد في الشرق والغرب، وتهتم بها كل الدول النامية وغير النامية على السواء. «بتصرف»

٢٩ - انظر : فقه الاقتصاد الإسلامي، وطبيعة التشريع فيه، المصدر السابق ص ٢٩٥، وفي تاريخ التشريع الإسلامي للمستشرق الإنجليزي ن ج كولسون ترجمة الدكتور محمد أحمد سراج، وتعليق الدكتور/ حسن محمود عبد اللطيف الشافعي ص ٢٤٢، ص ٢٧٠، ط. دار العروبة - الكويت.

صور و أوضاع

بين الديناميكية والركود

واضح رشيد الندوي

تختلف مساعي الإنسان للوصول إلى المجد . ومواقفه إزاء المسائل والمشاكل التي تواجهه في حياته والتحديات التي تقابله . باختلاف البيئة . والنشأة و الثقافة له كما تختلف باعتبار انفعاله الذاتي واستجابته و صلاحيته للمعالجة وقدراته الذهنية والعملية . فيختلف موقف الضعيف عن موقف القوى . ويختلف موقف القوى الصابر الذي يقدر على كظم الغيظ . وتحمل الأذى . ويملك صلاحية العفو واغماض البصر ولا ينفعل سريعًا . عن موقف القوى الذي ينفعل سريعًا . ويثور . ولا يملك أعصابه . كذلك يختلف موقف صاحب الوسائل عن موقف من لا يملك الوسائل .

يرجع هذا الاختلاف إلى طبيعة الإنسان وبيئته وثقافته . وظروفه . ولذلك تختلف اشغال الناس . وأعمالهم . ومهنهم . و وظائفهم في حياتهم . فمنهم من يشغل نفسه بالبناء والتعمير وآخر يفسد ويهدم . وكذلك تختلف نتائج أعمال الإنسان فمن الناس من يواجه المحن والشدائد . ويصل إلى أعلى مستويات الحياة و منهم من تثنى همته هذه المحن والشدائد . فيهجر السعي إلى المجد . ويكون مصيره الاخفاق في الحياة . كذلك من كان حسن الحظ . ومن هو سيئ الحظ .

وقد قال نابليون الذي دوّخ العالم بغزواته الخاطفة : لا يستطيع أحد أن يكون مثلي . لأني وليد الظروف التي لا يمكن أن تجتمع في حياة أحد غيري . قال ذلك عند ما كان على قمة مجده . لكنه لم يستطع أن يحتفظ بمكاسب انتصاراته ونال مصيره المشئوم في النهاية .

وفي تاريخ الأمم . وحياة العظام والعباقرة دروس وعبر . من الغلبة و الانكسار والنجاح والفوز . و الاخفاق والفشل . و الصعود . و الهبوط و التردى . و تحدث أمثالها في كل عصر . ولا يستطيع أحد أن يتكهن عن شخص أو أمة أو طبقة من طبقات الناس أو مجتمع من مجتمعات البشر . ما هو مصيره . وما هي عاقبته .

كانت الحرب العالمية الثانية مثالاً لكون النصر والهزيمة أمورًا موقتة لأن الأمم التي إذا أصيبت بنكسة ولم تفقد عزيمتها تنهض من مشكلاتها وتقف على أقدامها وأحيانًا تسبق من قهرها وأذلها . فقد انتهت هذه الحرب بانتصار الحلفاء . وهزيمة البلدين اللذين كانا يشكلان فريقًا من فرقاء الحرب كألمانيا واليابان . وكان في نصيبهما الهدم . و الدمار و التمزق . و خسائر الحرب . و ثقل التعويضات المفروضة عليهما وتجريدهما عن القوة الدفاعية . وتدمير مصانعهما . وتدمير مدن كاملة كهيروشيما و ناجاساكي . بالإضافة إلى الخسائر الفادحة في الأرواح . وحرمان البلدين عن خيرة الشباب . و تقسيم أراضيهما . واحتلال العدو لمناطق ذات الأهمية السياسية . و كانت هذه الظروف للمعاناة . والحرمان والخسران . والذلة والمهانة تشير إلى أن هذين البلدين سوف لا

يخرجان من هذه الذلة والمسكنة قرونًا . وأن الدول المنتصرة سوف تسود العالم وتستولى على ذخائره . وثرواته . وترفرف أعلامها على العالم كله .

كانت هذه الدول المتغطرسة التي انتصرت تتصور أنها ستهيمن على العالم والحضارة . وتسخر العالم كله . وتسقط حضارات العالم العريقة . وتطمس بسيطرتها معالمها . و يتغير تاريخ العالم . و يتحوّل مجراه . وتسلب شخصيته . ومن أراد أن يعرف كبرياء هذه الدول المستعمرة فليراجع بيانات قادتها إبان عهد الفتح التي عبروا فيها عن نواياهم بتغيير خريطة العالم وتغيير طبائع الأمم .

إن هذا الدول المتغطرسة تواجه اليوم اخطارًا جسيمة . وتعيش في مظلة القوة الأوربية المشتركة وتحتمي بها . فقد تفككت روسيا . وتواجه بريطانيا وفرنسا خطر تدفق السكان وقضية الأجانب . والحركات الانفصالية . والمشاكل الاقتصادية . وحالة الافلاس . وفقدت وزنها في العالم . ويهدد اليابان أمريكا . ويشكل خطرًا مستمرًا لاقتصادها. ويطالب بمكانته في مصاف الدول الكبرى . وإن السمة الوحيدة التي تملكها بريطانيا وفرنسا . كالدولة الكبرى هي عضويتها في مجلس الأمن . وتكاد تسلب منها . وتشارك فيها دول كانت مستضعفة وكانت تحت استعمارها . وستجلس معها في وقت قريب . فتسعى الهند واليابان وألمانيا إلى الحصول على العضوية في مجلس الأمن .

لقد تغير الوضع في خمسين سنة . وقد شوهدت مثل هذه الانقلابات بنطاق محدود في دول العالم المختلفة وخاصة في أوربا

الشرقية حيث تحولت دول كبرى إلى كسور متحاربة . وأصبحت سياساتها حديث الماضي . وثارت شعوبها وتغير قادتها .

إن الذين عاشوا في عهد استالين . وخروشوف . وبرزنيف . وتيتو . وناصر و سوكارنو و كاسترو . وشهدوا عهد استبدادهم وقهرهم لشعوبهم يعيش كثير منهم . ويشاهدون اليوم ما يحدث في بلدانهم ويعرفون من تطورات سياسية واقتصادية ولا يصعب عليهم أن يدركوا هذه الحقائق . وسيعرف الذين يعيشون اليوم ما يحمل لهم نصف قرن قادم من دروس وعبر .

كذلك يعيش اليوم كثير ممن شاهدوا المجازر البشرية والمعاناة البشرية خلال الحرب العالمية . ولا تزال ترن في آذانهم أصوات تلك المعارك . والذين قرأوا تقارير تلك الحروب الطاحنة . أو سمعوا عنها ولا تزال المقابر الجماعية للقتلى تذكر بوخامة تلك الحرب . ومقبرة العلمين هي إحدى هذه المقابر التذكارية .

لقد تغير الوضع اليوم تغيرًا لا يستطيع أحد أن يدرك وخامة تلك الحروب إلا بالمقابر . أو بالكتب التي ألفت فيها . فقد أصبح البلدان المتمزقان بالحرب . من أقوى بلدان العالم المعدودة . يهددان الدول الكبرى في العالم . ويتحكمان في مصيره . وفي الجانب الآخر هبطت الدول التي انتصرت في الحرب ليس من موقف الكبرياء . والاستعمار و السيطرة على العالم فحسب . بل انحطت إلى موقف الاستجداء و التكدية . ويصعب على كثير منها الاحتفاظ بسلامتها الإقليمية المحدودة بعد انحسار ظلها من مستعمراتها التي كانت الشمس لا تغيب فيها .

إن هذا التغير في الحيثيات والكيفيات . لا في الكميات . وهذا الانقلاب في موازين القوة . والثروة حصل بالمواقف . والمساعي . وحصل كنتائج الأعمال والإجراءات . وهكذا يتغير الدهر . وتتغير حياة الأفراد والأمم . وقد قال شاعر عربي :

استنزل الشرف الرفيع اقتسارًا
و لـــو لا السعي لم تكن المساعـــي

ولكن الأفراد والأمم التي لا تسعى إلى المجد . ولا تجتهد للوصول إلى المعالي بل تتكاسل . وتتواكل . وتعيش على فتات مائدة أصحاب المجد . ولا يخطر ببالها أنها تستطيع أن تسبقهم فتسايرهم . وتعتبر المسايرة شرفًا وكراسة وتحاكيهم وتعتبر المحاكاة والتقليد . شرفًا و عزةً . لا تتغير أحوالها . ولا تصعد إلى المجد . وكل من يربط نفسه بغيره ويتذيل بذيله لا ينفصل عنه ولا يغير من حاله . فهو أسوأ من العبيد لأن العبيد أيضًا يتحرر يومًا باجتهاده .

في هذه الفترة فترة خمسين سنة آثرت بعض الدول موقف التقليد وموقف الارتماء في احضان الدول التي استعبدتها . و استعمرتها واذلتها في تاريخها الطويل . فهي تعيش حياة الجمود والركود منذ استقلالها . فلو قارن أحد بين عهد استقلالها قبل خمسين سنة وبين الوضع السائد لما وجد تغيرًا إلا في البنايات . وأسماء الحكام أما الشعوب فهي مكبلة ومقيدة كما كانت في عهد الاستعمار . لأنها حالت دون الرقى والتقدم والاستقلال . ولا يتحقق ذلك إلا بثورة تغير طبيعة حكامها وشعوبها . وتفجّر طاقاتها الكامنة . وتعيد إليها الشعور بالذاتية . والغيرة القومية . لتجد مكانتها في مصاف الأمم الراقية .

كتب حديثة :

أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية

آخر ما صدر بقلم العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي هو هذا الكتاب القيم الذي ألقى فيه ضوءًا على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية ، ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوبة في الهند ، وتحدث عن دورها ونجاحها في إصلاح العقيدة ومحاربة الجاهلية والخرافية ، والدعوة إلى الدين الحنيف الخالص ، والانتفاضة الإسلامية ،في أسلوب موضوعي وعرضية إيجابية وصراحة استدلالية لا غموض فيها ولا التواء .

قد مست الحاجة إلى تأليف هذا الكتاب بعد تخرصات ودعايات ظهرت من قبل بعض الجهات الدينية تحقيقًا لمصالح جماعية محدودة وأفكار ارتجالية ، نتيجة لعدم الاطلاع على الحقيقة المعلومة العملية ، واعتمادًا على أقاويل لا تستند إلى الحق ، ولا تمت إلى الواقع بصلة ، مما كان سببًا لسوء تفاهم بل وسوء ظن بكثير من الشخصيات الموثوق بها علميًا وعقائديًا ، وطالما جرّ ذلك إلى تشويه الحقائق التاريخية فيما إذا تصدى هناك من يؤلف تاريخ هذه البلاد العلمي والديني ، ويُحدث عن علماء الدين، ممن حملوا راية التوحيد والدين الخالص والعلم والإيمان ، وحاربوا كل شئ يعارض العقائد الأساسية للإسلام ، أو تشم فيه رائحة من جاهلية أو بدعة وخرافة .

أشار المؤلف الجليل في هذا الكتاب إلى هذه المحاولات المتطرفة التي ظهرت ، سواء من قصد أو بغير قصد من بعض الجهات ، وأثارت شكوكًا في العقائد الدينية الثابتة الراسخة التي يعض عليها بالنواجذ هؤلاء العلماء الأعلام الذين لهم قدم راسخة في العلم والدين والدعوة إلى الله والفكر الإسلامي الأصيل ، كما جاء في مقدمة الكتاب :

« أما بعد ! فقد أثيرت حديثا تساؤلات عن بعض الحركات والدعوات الدينية الشعبية الواسعة النطاق وقوية النفوذ في الشعب الهندي وعن مدارسها الفكرية والتعليمية والتربوية التي مثلت دورًا رائعًا وحساسًا

في المحافظة على العلوم الشرعية الأصيلة وتعليمها ونشرها ، وفي تحقيق الانتفاضة الإسلامية في شبه القارة الهندية وكانت محاولة إثارة تشكيكات في عقيدتها ومنهجها والتزامها لمتابعة مصادر الدين الصحيح والعقيدة الإسلامية الشرعية الأصيلة .

وذلك كله عن طريق دعايات ، وانتقادات وتخرصات ، لتحقيق مصالح جماعية وإفراد العناية بمؤسسات ومراكز تعليمية خاصة باتجاه خاص ومشرب خاص .

وقد نشأ بذلك سوء تفاهم أو سوء ظن بمراكز ونشاطات للدعوة الإسلامية العميقة النفوذ الواسعة الأرجاء ، ومدارس ومراكز تعليمية تربوية ذات نتائج باهرة في التمسك بالدين الصحيح والمحافظة والغيرة عليه ، وتمسك الأجيال الثقافية بالتعليم الإسلامي الأساسي ، والمحافظة على تراثها الديني ومزاياها الإسلامية ، وفي تحرير البلاد من الحكم الأجنبي ، والدفاع عن شخصيتها وحضارتها الإسلامية وقانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، وغير ذلك .

وقد رأى كاتب هذه الرسالة من الواجبات عليه أن يقدم تعريفا موجزًا في ضوء التاريخ الصحيح المحايد ، بهذه الدعوات والحركات ، ومراكزها ومدارسها الفكرية ، وإنتاجها وآثارها حتى يكون القراء ، وخاصة إخواننا العرب والمسلمون في خارج الهند على بينة من الأمر ، وفي ضوء معلومات صحيحة وحقائق تاريخية ، ومنجزات ومآثر مشهودة شائعة ، حتى يمكنهم ويسهل عليهم الحكم والقضاء في هذه القضية المثارة المفخَّمة تفخيمًا زائدًا يحول المسلمين خصوصًا في بلاد بعيدة عن مراكز الإسلام هدفا لهجمات ومؤامرات تريد إبادة العنصر الإسلامي الثقافية واللغوية والحضارية ، ثم الدينية الإسلامية،وتحويل البلاد إلى أسبانيا الثانية ، لا قدر الله ذلك ، ويكـون رد فعلهم ضد هذه الدعايات في ضوء الآيــة القرآنية و التعليم القرآني .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا،اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون » [سورة المائدة ، الآية : ٨] » .

لآلي منثورة ، في التعبيرات الحكيمة عن قضايا الدين والأخلاق والاجتماع

الكتاب مجموعة للأقوال الحكيمة التي ألقاها في مجالسه العالم الرباني الكبير العلامة أشرف علي التهانوي ، المعروف بحكيم الأمة ، وهي في اللغة الأردية التي نقل منها إلى اللغة العربية الأستاذ نور عالم خليل الأميني ، رئيس تحرير صحيفة « الداعي » الصادرة من الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند (الهند) وتولت نشرها أكاديمية شيخ الهند في نفس الجامعة .

والغرض من هذا الكتاب هو تقديم هذه الأقوال الدينية التي تحتوي على حكم من الشريعة الإسلامية إلى الاخوة الناطقين بالضاد ، وذلك ضمن البرنامج الذي وضعه المسئولون عن جامعة ديوبند نحو نقل مؤلفات علماء الجامعة إلى اللغات العالمية .

الذين تحمل مؤلفاتهم - كما جاء في مقدمة الكتاب - من العلوم والحكم والمعاني اللطيفة التي قد لا تحملها مؤلفات بعض العلماء الكبار من معاصريهم وممن سبقهم ، .. وإن الاخوة العرب في حاجة إلى أن يعرفوا ما صنع العلماء والمخلصون هنا ، من أعمال مشكورة غير مطروقة في سبيل خدمة الدين والدعوة والثقافة .

والكتاب سلسلة جميلة من الانتاجات الدينية التي كانت مغمورة في اللغة الأردية ، وقُدر لها الآن أن تلبس ثيابًا قشيبة من العربية وتصل إلى أيدي الشباب العرب الذين هم أحوج ما يكونون إل مثل هذه الدرر اللطيفة واللآلي الثمينة على صعيد الدعوة والعلم ، وفي مجال الأخلاق والاجتماع ، فهو جدير بالاستفادة والاعتناء في جميع الأوساط الدينية والعلمية .

الإسلام . خصائصه وعقائده

أهدى إلينا فضيلة الأخ الشيخ حبيب ريحان الندوي ، هذا الكتاب القيم ، الذي يتحدث عن الإسلام وخصائصه ، ويحتوي على ثلاثة أبواب ، ففي الباب الأول تعريف بالإسلام وبيان لميزاته وخصائصه ، والباب الثاني يشتمل على بيان علم الكلام ، ومبدئه وتطور معناه ، ومعرفة الله تعالى و وحدانيته وصفاته ، أما الباب الثالث فيتحدث عن المعتقدات الأساسية من الرسالة والبعث والآخرة .

والكتاب في الواقع ترجمة وتعليق لكتاب عالم مصر الكبير الدكتور محمد يوسف موسى الذي ألفه باسم « حاجة الإنسانية إلى الإسلام » وقام الشيخ ريحان الندوي بنقل ثلاثة أبواب الكتاب المذكورة أعلاه ، إلى اللغة الأردية ، وزيادة التعليقات المفيدة على المباحث العلمية من هذا الكتاب ، وهو بدوره عالم بارع ، ومؤلف معروف بنظرته السديدة وفهمه العميق في الدين .

نشرته دار التصنيف والترجمة بمدينة بهوفال - الولاية المتوسطة (الهند) نبارك الشيخ ريحان الندوي على هذه الخطوة الموفقة ، والهدية العلمية الغالية .

++++

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ محمد إسحاق الندوي السنديلوي في ذمة الله تعالى

فجعت أوساط العلم والدين وخاصة أسرة ندوة العلماء بوفاة فضيلة الشيخ محمد إسحاق الندوي في ٢٨/جمادى الأولى ١٤١٦هـ الموافق ٢٢/ أكتوبر ١٩٩٥م عقب مرض ألم به منذ مدة قريبة ، وذلك في مدينة كراتشي (باكستان) التي كان قد هاجر إليها في السبعينات ، بعد ما قضى مدة طويلة في دار العلوم ندوة العلماء ، قام فيها بتدريس العلوم الإسلامية والحديث النبوي الشريف ، وخرّج جيلاً من تلاميذه البارعين ، وخلف تأثيرًا عميقًا في نفوسهم من النواحي ، العلمية ، والدينية والخلقية والتربوية ، ﴿ *فإنا لله وإنا إليه راجعون* ﴾ .

شغل الفقيد منصب التدريس وتربية الطلبة ، وتولى عمادة دار العلوم في آخر إقامته هنا ، وقد جمع الله فيه صفات عديدة ، فكان مدرسًا بارعًا وطبيبًا ماهرًا ، ورياضيًا فائقًا ، ويتقن الفنون العسكرية ويدرب الطلاب عليها ، وكان يعرف لغات عديدة ويجيدها مثل اللغة العربية واللغة الإنجليزية ، والفارسية والأردية ، ويكتب فيها البحوث والمقالات ويؤلف كتبًا ذات قيمة علمية ، فكتابه القيم « نظام الإسلام السياسي » له أهمية كبيرة في الأوساط العلمية ، تولت أكاديمية دار المصنفين طبعه وتوزيعه فهو يعتبر في ضمن مؤلفاتها القيمة ، وكان ذا معلومات في علم الاقتصاد ، فكان يدرس مادة الاقتصاد في دار العلوم واللغة الإنجليزية في

صفوف عالية .

كان يتميز الفقيد المرحوم بالتواضع والورع والتمسك بالمبدء وبالصلة الأبوية بطلبة دار العلوم بوجه خاص ، فكان يتناولهم بالشفقة عليهم والتربية الدينية ويقدم لهم قدوة طيبة في كل مناسبة ، وكان إمامًا في جامع دار العلوم مواظبًا على الأوقات ومحافظًا للمواعيد ، وخطيبًا معلماً يفيد الناس من العامة والخاصة بمواعيظه وخطبه الدينية .

هاجر إلى باكستان حيث قام بوظيفة العلم والدين والتربية والتأليف ، ولكن لم يتمتع فيها بالهدوء والاستقرار الذي كان يحلم به ويتمناه في بلد أقيم باسم الإسلام ، ولعل التوفيق لم يحالفه فيه ، فظل يعيش في شبه انعزال ويأس ، وخاصة لما اطلع على الوضع الواقعي هناك لحياة الناس ، وقلة علاقة الشعب المسلم بالدين ، والاهمال الشائن لأحكام الشريعة ، مع الميل الزائد إلى التغريب ومجاراة الحضارات المادية .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

فضيلة الشيخ السيد محمد مرتضى النقوي في ذمة الله

فوجئت أسرة ندوة العلماء بوفاة فضيلة الشيخ محمد مرتضى النقوي المظاهري بطريق مباغت وعقب شلل عصبي أصيب به فجاءة ، وهو في حالة أداء صلاة الفجر من اليوم الثاني لشهر نوفمبر ١٩٩٥م ، وباستشارة من الطبيب حُمل إلى المستشفى الكبير إلا أن الأجل لم يمهله فتُوفي ليلة الرابع من شهر نوفمبر ١٩٩٥م (الموافق ١٠/من شهر جمادى الثانية ١٤١٦هـ) رغم جميع المحاولات الطبية التي بُذلت في سبيل العلاج ، *فإنا لله وإنا إليه راجعون* .

قضى الراحل المرحوم الشيخ محمد مرتضى مدة طويلة في دار العلوم لندوة العلماء تربو على نصف قرن من الزمان ، وركز عنايته كلها على عمل الاشراف والإدارة لمكتبة شبلي العامة التابعة لندوة العلماء ، ولم يدخر وسعًا في توسعة المكتبة وإثرائها بالكتب العلمية والمواد التحقيقية ، فقد سهر على هذا العمل العظيم وعاشه من غير ملل أو سآمة ، فكان لا يهنأ له العيش بدونه ، وكلما سمع بكتاب جديد أو مطبوعة حديثة أو طبعات جديدة منقحة مزيدة لكتب المصادر والمراجع سارع إلى اقتنائها

وتزويد المكتبة بها .

لقد كانت علاقته بسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي مدير ندوة العلماء ، مخلصة ، و وطيدة ، وكان ذا اتصال عميق بأعضاء هذه الأسرة الكريمة العليبة ، خاصة لأن جده الأعلى الشيخ السيد جعفر علي كان قد حضر مع أمير المؤمنين الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد في معركة بالاكوت وشاركه في الجهاد ، فكان من أحبائه الثقة الذين ساعدوا السيد الإمام في هذه المعركة ، وذلك ما أدخل حب هذه الأسرة ورجلها العظيم في قلبه ، فكان سماحة العلامة الندوي يثق فيه ويحبه ، ويقدر أعماله وجهوده المخلصة ، حتى قال في هذه المناسبة الحزينة : « يمكن أن يقوم الإنسان بصناعة كل شئ وإنجاز أي مشروع كبير ، إلا أن صناعة الرجال المخلصين والعاملين في سبيل الهدف ، أمر نادر الوجود وبمثابة عنقاء المغرب ، وأشهد أن الفقيد كان من الرجال العاملين المخلصين ، توفاه الله سبحانه ليجعل له جزاءً موفورًا في الآخرة ، - إن شاء الله تعالى - .

فضيلة الشيخ إقبال أحمد المظاهري في ذمة الله تعالى

في ١٨/أكتوبر ١٩٩٥م المصادف ٢٢/جمادى الأولى ١٤١٦هـ فاجأنا نبأ وفاة فضيلة الشيخ إقبال أحمد المظاهري ، مؤسس مدرسة سراج العلوم ومديرها في مدينة سيوان بولاية بيهار ، وكبير علماء المنطقة الشمالية لهذه الولاية ، المساهم في عمل التعليم والتربية والدعوة إلى الله ، وصاحب مجهودات مخلصة في اقتلاع جذور البدع والخرافات والعادات الجاهلية في المناطق العديدة المجاورة ، ﴿ *فإنا لله وإنا إليه راجعون* ﴾ .

كان أكرمه الله تعالى بصفات حميدة من العلم والتواضع والاخلاص والذكاء ، واستعمال الحكمة في الأمور ، كانت له ملكة في إصلاح ذات البين ، وفصل الخصومات بين المسلمين ، فقام بتوحيد الصفوف ، وذلك بإصلاح المجتمع وإزالة التقاليد السيئة والمراسيم الجاهلية التي دخلت في حياة المسلمين ومجتمعاتهم ، لقد واجه في سبيل الهدف كل مشقة وشدة بوجه باسم ، ولم يلن للباطل ولم ييأس من النجاح في أي حال ، رحمه الله تعالى وأسكنه دار الجنان ، وألهم أهله الصبر والسلوان .

++++

مؤتمر هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في أحمدآباد

انعقد الاجتماع الثاني عشر لهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين بمدينة أحمدآباد التاريخية من ولاية گجرات (الهند) في ٧-٨/أكتوبر سنة ١٩٩٥م ، برئاسة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي لحسن علي الحسني الندوي رئيس الهيئة .

أعرب هذا الاجتماع عن القلق نحو إثارة قضية القانون المدني الموحد ، ومحاولات تحقيق مشروع قانون يفرض الحظر على الزواج الثاني وقرار التبنى ، بغاية من العجلة ، مما يجنى على قوانين الإسلام العائلية جناية كبيرة ، فانتبه له هذا الاجتماع بصورة جادة وطالب رئيس الجمهورية الهندية بأن لا يوقع على هذه القرارات القضائية لأنها تعفى على حق الحرية الدينية الممنوح بموجب المادة رقم/٢٥ من الدستور الهندي ، كما أيد الاجتماع قرار مجلس العمل للهيئة بخصوص مقابلة وفد وجيه مع رئيس الجمهورية الهندية في أقرب ما يمكن من وقت ، وممارسة الضغط عليه لتحقيق المطالب المذكورة أعلاه .

في المؤتمر السنوي حول « السيرة النبوية الشريفة »
دعوة مفتوحة ومؤثرة إلى التوحيد الخالص في عقر دار المبتدعين

في بلدة ديوا بمديرية بارا بنكي لولاية أترابراديش وجه البروفيسور محمد يونس النجرامي مستشار رابطة العالم الإسلامي لشئون القارة الهندية ورئيس جمعية المثقفين المسلمين في الهند الدعوة المؤثرة إلى التوحيد الخالص ونبذ الخرافات والبدع وذلك بصفته رئيسًا للمؤتمر حول السيرة النبوية الشريفة الذي تقيمه لجنة السيرة في كل عام بمناسبة الاحتفالات التي تتمّ إقامتها على مولد الشيخ الحاج وارث علي والتي تستمر عشرة أيام ويحضر هذه الاحتفالات أكثر من مليوني شخص من جميع الجاليات الهندية ، وعلى مر العصور أصبحت مدينة ديوا من أكبر المراكز الهندية للبدع والخرافات التي لا علاقة لها بالدين الإسلامي .

وقد أقيم مؤتمر هذا العام في ١٢/١٠/٩٥م برئاسة البروفيسور محمد يونس النجرامي وحضره عدد كبير من جميع أنحاء الهند .

واغتناما لهذه الفرصة الذهبية وافق البروفيسور النجرامي على رئاسة المؤتمر وأكد في خطابه الذي استمر ساعتين على المسلمين بأن يعودوا إلى الكتاب والسنة ويتمسكوا بالتوحيد الخالص الذي هو عماد الدين وحجر الزاوية لبناية الإسلام ودعا إليه محمد رسول الله -ﷺ- بكل قوة وحماس ، وبين البروفيسور النجرامي في خطابه سخافة البدع والخرافات بشكل منطقي وتحليلي و وجه نداءه إلى كل مسلم أن يكون قدوة حسنة ونموذجًا حيًا لتعاليم الإسلام السمحة وذلك لأجل الدعوة الإسلامية في الهند .

وقد حضر هذا المؤتمر عدد كبير من الهندوس الذين أبدوا إعجابهم وتقديرهم بخطاب البروفيسور النجرامي المؤثر وقالوا في تعليقاتهم بأنهم لأول مرة استمعوا إلى تعاليم الإسلام وميزاته وخاصة فيما يتعلق بالعدالة الاجتماعية .

حفلة دينية في دار القرآن والحديث في تلشيفور (غونده)

لقد اتفق لي الحضور في حفلة دار القرآن والحديث التي عقدت بمناسبة إرساء الحجر الأساسي لمشروع توسعة مسجدها الجامع ، وتجديد بنائه ، وسيكون مسجدًا جامعًا ذا طابقين وسيسع عددًا وجيهًا من المصلين ، بمشيئة الله تعالى ، وذلك في اليوم السابع عشر من شهر نوفمبر ١٩٩٥م يوم جمعة ، الموافق ٢٢/جمادى الثانية ١٤١٦هـ ، فكانت مناسبة دينية كبيرة حضرها عدد كبير من الجماهير المسلمة وعلماء المديرية و وجهاء المنطقة حيث إن البلد شهد لأول مرة مثل هذه المناسبة الدينية المثيرة ، وقد استمر اجتماع الليل حتى الصباح ، ألقى فيه كبار العلماء والوجهاء كلمات توجيهية ، وخطبًا دينية ، أنشأت جوًا دينيًا في المنطقة وأثارت الوعي الإسلامي والشعور الإيماني في قلوب الناس ومجتمعاتهم .

ونرجو أن يوفق الله سبحانه القائمين على الجمعية المحمدية والمسئولين عن مدرستها ، دار القرآن والحديث ومعهد الزهراء الثانوي للبنات المسلمات في هذا البلد،إلى أداء دور مهم في مجال التعليم والتربية والدعوة الإسلامية ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

البعث الإسلامي
دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)
ص . ب ٩٣ - هاتف ٢٧٣٣٦-٧٣٨٦٤
رقم الفاكس - ٠٠٩١-٥٢٢-٣٨٠٥٧٠

Albaas-el-Islami
Darul Uloom Nadwatul Ulama,
P. O. Box: 93, Lucknow. (India)
Phones: 372336—73864
Fax: 0091-522-380570

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارىء الكريم ، حفظه الله تعالى للاسلام :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

و بعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا فى خير و عافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة « البعث الاسلامى » ، و هى مجلتكم و مجلة كل محب للصحافة الاسلامية الهادفة .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر فى ظروف قاسية جداً ، وهى بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، و ذلك بتقديم دعم علمى و مادى منكم ، و ببذل شىء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جـدد من جملة إخوانكم و أصدقائكم ، و لكم منا الشكر الجزيل و من الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أى تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم (ALBAAS - EL - ISLAMI) .

بالعنوان التالى :

مكتب البعث الاسلامى
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص . ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمى الندوى

رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامى »

ص . ب ٩٣ - مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWAT-UL-ULAMA,
P. O. Box: No. 93,
Lucknow-226007 (India)